شعر

وشيءٌ من سَرْدٍ قليل

فراس حج محمد

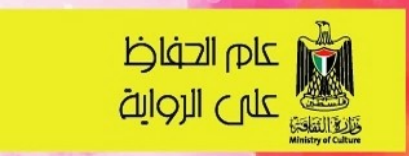

وشيءٌ من سَرْدٍ قليل

فراس حج محمد

شعر

اسم المؤلف : فراس حج محمد

اسم الكتاب: وشيءٌ من سَرْدٍ قليل

سنة الإصدار: (2021)

تصميم وإخراج فني: فاطمة حسين

منشورات: وزارة الثقافة الفلسطينية

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق إستعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر .

All rights are reserved
No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval
system or transmitted in any form or by any means, ,electronic
mechanical, photocopying, recording or otherwise, without
.prior permission of the publisher

فلسطين

www.moc.pna.ps

وشيءٌ من سَرْدٍ قليل

فراس حج محمد

خلق من بعد خلق

يفتتح السطر الجديد بجملة فعليّة من فعائل امرأةٍ

ساجدةٍ في قمّة الجبل العريق

غزالة سمراء ترعى في حقول من ضياءِ

تعرّف ما تعرّف من نكراتها، وتكتب عند منبلج الصباحِ

عند تنفُّس الطيفِ الجريءْ

تغسل جسمها بندى الأقاحي

تشرب قهوة الوردِيِّ

تكتب جملة أخرى وتنفتحُ السّماءُ على السّماءِ

وتفتتح المعنى على دفء الوجوه الناعماتِ

وتختمر الكؤوس على السّواءِ

تبدأ رحلة التّشكيلِ في الإعراب عنّي

أعرِف ما أعرّف من حضور الوقت منها

فالوقت يكمل دورتين بها

أكون ثانية بمساحة الساعةْ

تركض بي ثوانيها

أجزّئ ما تجزّأ في دمائي

أفتّت ما تفتّت من غنائي

وألمّ صورتها في هدأة الصّوفيِّ

في عشق الهوى الرّائي

في قابل الضّوْء المزاجيّ المهيبْ

تفسّرني على نارٍ مقدّسة وماءِ

شهيّة فعل الأمر

(1)

تعالَيْ نستظلَّ بظلّنا

لنشربَ كأسنا الملأى الّتي كانت هنا

تعالَيْ

واقرأي عنّي قصيدتيَ الملأى بطيفكْ

هنا نحيا

فما زلنا نقومُ على القصيدةِ نطعمها نوى ذاتٍ مولّهةٍ بأينِكْ

تعالَيْ واشعلي جسدي

وذوبي في الغوايةِ

واحملي عنّي يديّ لتستريح بموج شعركْ

واقطفي عسلي كيما تعود شهيّتي جذلى

ترتّل في السّماء نقيّ سردكْ

مدي إليّ صورتك الأخيرةَ مثل نصّ ملتبسْ

محمولة أشياؤه على فلكِ امتدادكْ

لعلّني أخلع عنّي المفرداتِ

الضّبابَ

الكثافةَ في الفراغِ

أشبع من ثمارِكْ

وأكتب المعنى الدفين بأضلعي

وأفرّ منّي وأتوه في لجج اشتهائكْ

يا لهذا المستعاد هناك إذنْ

كأنه سرّ اختيارِكْ

اثبُتي كيما يجوب الماء في بحر اغتسالكْ

واتركي منّي يدي

تسبّحْ في جلالة حرّ نارِكْ

واستبقي عليّ كما أنا

ليستبيحَ الفاعل المضمرُ ههنا خمسَ غواياتٍ

تجرّد نفسها من نفسها أنفالُ فائكْ

(2)

قف ههنا

أطلِ التأمّل ساعةً من بعد أخرى مفردا

قف ههنا

والمس هسيس الورد فيك تَمرّدا

قف ههنا

صلِّ الهوى وصِلِ الجمال تَفرُّدا

قف ههنا

وادخل بكلّك كلّها كيما تصير بكلّ جزء أوحدا

قف ههنا

يا ابن اللغات جميعها

الحبّ كالتقوى تغلغل في القلوبِ تأبّدا

قف ههنا

لا راوياً إلّاك يروي الوجنتين تورّدا

قف ههنا

أزل الفروقات البعيدة في المدى

واجعل زمانكَ كلّه في الساعتين تَجدُّدا

قف ههنا

قف ههنا

فالله يشهد أنّني من بعد حبّك صرتُ عبداً سيّدا

(3)

ظلّي هنا عندي وعندي ثرثري

سيلي على شفتي ككأس مسكرِ

واطوي الحنينَ هناك سفر غوايةٍ

وتبتّلي

وتعرّفي

وتغرّبي

وفي ضلوعي غرغري

وتنافسي على وقتي الفسيحِ

تقاسمي لغتي مع ياسمينٍ أخضرِ

ولتغسلي وجع الغبار

إليّ هيا فاعبري

وعلى ربوعيَ انتشري

حلمي شهي طازج لم يبدُ منه سواكِ

هيا فسّري

أنا ههنا أنتِ الهناكَ

كشقّ نفسِ بالتحامِ الأسطرِ

(4)

تعالَيْ

وخّلي لي انغماسَ طعمكِ بالنبيذْ

لتغرقَ الشفتانِ في ماء الحياةْ

تعالَيْ

كي تأكلي الثمرةْ

وآكلَ حبّة التوتِ الشهيِّ على وجع المياهْ

تعالَيْ

واغرسي الشهوةَ فيَّْ

كي أقومَ إلى معابد نشوتي

وأطيل هاتيكَ الصلاةْ

تعالَيْ

واشكري لغتي على هذي الأناةِ الباذخةْ

واقرئيني سفراً إلهيَّ النواةْ

واغمسيني غمسةً واحدةً

واكتبيني مرّةً جسداً يباركه الإلهُ على هواهْ!

تعالَيْ

تشبعِ الأشجارُ من شهوتها

وتفتح جذرها للأرضِ

تنتظرُ الإلهْ

غناءُ الله فيها

وردة أخرى هناك فيكِ يربربها مداهْ

تعالَيْ

مثل عصفورٍ شهيّ النقر في شفتي

لأكتبَ من جديدٍ ما أراهْ

تعالَيْ

تولدِ النشوةُ فينا

يا ملاكاً طاهرَ الدفءِ

ثريّاً في معانيهِ

خفيفَ الظلِّ

طيراً تعمّد في سناهْ

(5)

فاكهة الليل أنايَ

فجنّي

أنضجيني

مدّي إليّ يديكِ

تذوّقيني

عرّفيني مرّة أخرى على طعمي

وكونيني

واختصري الطريق إلى جنوني

(6)

أعطني شيئاً من حنين الوقتِ

رنينِ الذّاكرَةْ

صوتِ الأغاني في مداك الحُرّ

أعطني دفء يديكِ لتشتعل القصيدةُ في يدي

ليفتتح الوردُ الشّهيُّ محابره

أعطني شيئاً من المعنى المخبّأ في شفتيكِ عند «الكركرة»

أعطني لغتي الّتي أتقنتها عند باب الآخرةْ

أعطني سنواتيَ السّبع العجافَ يخضرّ حقل السّنبلةْ

أعطني شغفي الّذي ألقيْتِه حطباً في قصائدَ كافرةْ

أعطني شيئاً أفاخرُ فيه غير وعد الثّرثرةْ

أعطني ولداً أقولُ له إذا ما جاء يسألني عن أمّه:

«تكبُرُ في عيوني، كلّما ناجيتُ أمَّك، أغنياتٌ ثائرة»

أعطني بنتاً تحبُّ الله والدنيا

تحبّ النّاس والحيوان والأحلام والدُّفلى

تحبُّ الصّبح والعصفور والألحان والأشعار والقهوةْ

فضيّعي ما شئت إلّا نطفة تكبر بيننا

وأعطي العالم المهووس بالأسرارْ

ونظّفي بالحبّ عقل الفجرةْ

أعطني الشّكل النّهائيّ الجديدَ من الحكاية كي نظلّ كأجمل قصّة في حكايا البررةْ

(7)

تعالَيْ كَيْ أعدّ أصابعكْ

عشرين مرّة

ستاً وعشرين سنةْ

وأزرعُ بين نهديكِ الصغيرينْ

بين كلّ خليّتينِ

عبارتينِ

ووردة وقصيدة وحروفَ باءْ

تعالَيْ كي أغوصَ في كلّ التفاصيل المثيرة والقريبة والبعيدة في التخيُّلْ...

وأفوّضُ أمري للأصابعِ

للحكايات الغريبةْ

للصدى الممتدّ عند الدغدغةْ

واستقيمي في متون الآه عند إشباع الفراغ لتلك المحبرةْ

مُبْيَضّةً وحليب ماءْ

تعالَيْ مثلما تأتين منّي

خليّة مرويّة مجليّة مثل بلَّوْر مُضاءْ

واستكملي أنثاك فيّ بكلّ أصناف «الذكاء العاطفيِّ»

وجِنّي في اشتعالات الضياءْ

تعالَيْ مثل رائحة الشِّتاءْ

بما تبدّى من ربيعك عندما تجلى على شفتيكِ أحلام النساءْ

تعالَيْ مثلما تأتي الغيومْ

واستفيقي في مساحات امتداد أصابعٍ عشرينَ في مرح السماءْ

تعالَيْ مع حساسينٍ وجوقة أنبياءْ

ورياح ناعمات الخطو مع ذاك الفضاءْ

لا تتركي شيئاً وراءك دون أن يحلو على مسّ الصفاءْ

تعالَيْ والشفاه نديّة محمرّة عطشى تردّدني بين حرف ندائها من قبل أن يصدى النداءْ

تعالَيْ قامة حوريّة ورقاء مثل يمامة هدلتْ

وأشجت في الغناءْ

تعالَيْ يا ابنة الكرم المعدّ من اغتباقك كلّما حلّ المساءْ

تعالَيْ مثل نهر جامح على شطّيْهِ مغتسلي

وتعمّدي طقساً تمرّد مثلما شئتِ يشاءْ

تعالَيْ علّنا في الوقت ندخل دون لعبته الطويلة في افتعالٍ واقتضاءْ

دون فلسفة أو كسرة من فكرة أو ربّما شيءٌ يؤخّرنا عن المضمون في كلّ ابتداءْ

تعالَيْ دون أيّ شَيْءٍ

غير أنتِ

أنت أنت الاشتهاء الكامل الإحراق في كلّ اشتهاءْ

أنتِ الإضاءاتُ المسافرةُ النقيّةُ كلّما أزهرت رؤيا

واستعرت الحرف من خلل السناءْ

تعالَيْ كي تعدّيني كما كنتُ فعلتْ

وتخفّفي من لحظتين جريحتين قصيرتين في هذا اللقاءْ

وتفرّغي منّي إليَّ بكأس الخمرة النشوى تدفّق في انتشاءْ

تعالَيْ كي أقصّ لك الحكاية كلّها

فعند طفولتي الأولى تعلّمت الرواية

وتركتها مكتوبة على جدران ظلّي

ولم أكمل نهايتها

وبدأتها بوشايةٍ العرّافة الكبرى

تعلّمني اغتيالي في يديك مشيتُ

أصغي لأشجاري وعرّفني النداءْ

تابعاً صوتاً بعيداً قادماً من غربة محفوفة

تقتات من عسفِ الخفاءْ

تعالَيْ واسمعي ضوئي

تشرّبيني أغنياتْ

فأشيائي الخفيّة ناضجةْ

ويرضعها الخافت المحموم أكثر من شتاءْ

تعالَيْ واكتبي إحياء أسفاري على وهَج اللقاءْ

(8)

من أين أبدأ طقسنا الموعود في ذاك السريرْ؟

تعاليْ بملابس الصيف الأنيقةِ

مثل ضوء الشمعدانْ

وهيِّئيني قبل ذلكَ باغتسال مستطيل في مياه دافئةْ

واسترخي بقربي دونما تعب وخوفْ

لأعبر فيك بعد بعض مقدماتْ

وأكملي نقصي المعرّف ههنا

واكتملي بحرف من نشيدْ

عطشي شديد يا كؤوس الظلّ يا ولهي المديدْ...

عبْدٌ أنا لــولاكْ

يا حبّ كُنْ واضِحاً

منذُ البدايةِ

خذني برفقٍ فَوْقَ غيمتِكَ البهيّةِ

علّمني أقلّمُ وحشتي عندَ الغيابِ الطّويلْ

درّبني على وجعٍ غيرِ ذي شهوةٍ ورديّةٍ

في الصّباحْ

يا حبّ كُنْ هادئاً حتّى النّهايةْ

وارقصْ على راحتيَّ اللّحظةَ الحاسمةْ

عرّفني عليْ

أيُّها المُتَحَلِّقُ في يدِ اللّيلةِ

أَكْثِرْ فيَّ هذا الطّيرَ

هذا النّهْرَ

هذا الرِّيْ

وانبِذْ إليَّ على سواءٍ كلَّ طيفٍ حيْ

يا حبُّ لا تتعبْ

وساعدني لأحملَ ما يفورُ من لغتكْ

لأحيا في النّشيدِ

يكونُ كلّ شَيْءٍ فيْ

يا سيّدي الحبُّ

قم عن صليبكَ وانتشرْ

وانشر جناحك واحتدمْ

كُنْ قويًّاً

مثل حكاية وقصيدة وجديلة وقُبلة وحيٍ سمائيّةْ

كُنْ جامعاً وكنيسة ومذبح معبدٍ

وقربانَ صلاةْ

يا سيّدي الحبّ

ترقرقْ مثل الأبجديّة في دمي

واتلُ السّعادة في فمي

كُنْ مسلماً مثلي

مسيحيّاً على ورود المبسمِ

يا سيّدي الحيّ فيَّ

ابعث رسائلك الجذلى الرّبيعيّة

لأطيار الصّباح زقزقة وموسيقى

ورفرفةً وحرّيّةْ

يا حبّ لا تكُ قاسياً فتكسرَني

وغلغلني بكلّك كي أعيشَ في صوري على المرآةْ

آراك حيّاً مثل وحي اللهِ

تكبر كلّ حينٍ

فيض سناً وموج ضياهْ

يا سيّدي الحبَّ كن نهراً لتغسلني

من غبار الرّحلة المتعبةْ

حان وقت الرّاحةِ في شواطئكَ الظّليلةْ

وكأسُكَ الملأى تفيض على شفاهيَ حرّة

ودافئة مراشفكَ اللّذيذةْ

يا حبّ يا سيّدي

علّق ترانيمي على صوت الطّيورْ

وكُنْ نغماً على الأشجارْ

وكنْ سرّي ومُهري وابتهاجاتُ الغصونْ

وكنْ فوحاً من الأزهارْ

فكلّي ذاب من شوقٍ إلى حلم السّماءْ

يا حبُّ

كُنْ سيّدي عبدٌ أنا لـــــولاكْ.

أيّتها النّفوسُ ائتدمي

كلّما أُغْلِقَ بابٌ على عاشقينِ توهّجت سُوَرُ القُبلْ

وتدلّت عناقيدُ الشّهوةِ ناضجةً

سفرجلاً

كرزاً

عنباً

تمراً

يقضمان معاً تفاحتينِ بلا خجلْ

كلّما أغلق بابٌ على عاشقينِ

وقفَ الملائكُ شاهدينْ

وأفرغوا الحبر في أسفارهم أغنياتٍ ربيعيّةْ

واغتسلوا بألحان المقامْ

رقصوا على الإيقاعْ

كلّما هزّت النّشوة ردفيها ونادت يا إمام العاشقين تبتّلْ

كلّما أغُلق باب على عاشقينِ انفتحت منافذٌ ونوافذٌ

هبط القمرْ

وخفّفت الرّيح سرعتها

تعانق الغصنان في وضوح الضوءِ

والتحم الضّدّ مع أضدّاده

واغتمر الضياء ضياءه

وكلّ شيء مغتسلْ

كلّما أغلق باب على عاشقينِ تورّدت لغة الشِّعرِ

صارت وردةً

عطراً

سحاباً

غابةً من ليلكٍ

دنّاً مشبعاً برؤىً في حلو ليلْ

كلّما أغلق باب على عاشقينِ

هدل الحمامُ

اطمأنّ الأنبياءُ صنّاع السّلام على شريعتهم

وانشرح الصّدرُ

وابتسموا

وناجوا الله في عليائه

رضي الله عنهم أجمعين

أسبغَ النّعماء في ولهٍ على العاشقين

ونادى في الملكوت:

أيتها النّفوس ائتدمي، لا تسأمي

غنّي غناءً لا يُمَلُّ

مواجدُ في وحدتيَ البعيدة

(1)

«أنتِ معي لكنّي أقولُ لكِ تعالَيْ- مريد البرغوثي»

إن عدْتَ لي عدتُ إليكْ

تلمّ الزّهر عن كتفيّ

خمرتي معصورة في شفتيْكْ

وينقر طيرَك الذّهبيُّ سنبلتين من جسدي

تمسّدني بدفء يديكْ

إن عدتَ أنبُتْ من جديد غابة لتفيء فيَّ

تجعلني كونًا يفيء إليكْ

إن عدتَ لي عدتُ إليَّ امرأةً كونيّةً

يروّي كأسُها ولَهي عليكْ

إن عدتَ لي فلن أعود سوى إليَّْ

(2)

لا تسلني يا صديقي

ثَمّ مشكلة تنام على يدي، ساعدي، وعلى جبيني.. في عيوني

وتحفر ما تشقّق من بقايا الجلدِ

تنذرني لأقبع في سجوني

لأنْ ثَمّ مشكلة أخرى تحدّ من التّدفُّق في جنوني

ثَمّ ما يبعد «طاغور» عنّي في غضبة الموجِ

أغلق ما تجلّى منهُ

أفتح للّظى بعض الظّنونِ

لأنْ ثَمّ مشكلة أخرى تسدّ عليّ أفق الشّمسْ

أغرق في شجوني

لا تسلني يا صديقي

هي مشكلة أبديّة معها تعود إليّ منها

كلّما أطبقت من وَلَهٍ على وَلَهٍ جفوني

(3)

عنكِ وحدي

هنا حيث أنا الآن وحدي دون شيءْ

لا شيء لي غير أنا الوحيدة وحدي مع الظلِّ وحدي

أقرأ القصيدة وحدي

لامرأة هنا

أقول لها متوسلاً كي لا أرى وحديَ وحدي

أرى وترى ما يفعل الليل بالعشق المحرّمْ

لا تسلني غير أَنَّ القلب يسألْ

غير أنّ الشّعر يسأل

غير أنّ الوقت يسأل

غير أنّ اللّيل عند الحلمِ عند الصّورة الأخرى سيسأل

أين أنت الآنَ؟

في عمق الغيابِ، في هذي التّفاصيل، في هذا المُزاح

في هذي اللّغة المراحْ

في كلّ شيءٍ غير أنّي

أكتب القصيدة وحدي

وأقرأ وحدي

هنا أقرأ لي عنك عنّي

وأغزل جبّة الصّوف لقلبيَ المشنوق وحدي

وأغرق فيَّ وحدي

في العشق المحرّم وحدي

وحدي المتيّم فيكِ وحدي

(4)

لستَ وحدكَ دون شَيْءٍ يا ابن قلبي

لستَ وحدكَ دون نور يا ابن ليلي

لستَ وحدكَ دونما امرأةٍ تغلغل فيكْ

هذا الذي ترجوه فيكَ

معكْ

لستَ وحدكَ لستَ وحدكَ

(5)

معي وحيدًا أجوسُ بعتمتي

أَصْدُمُ رأسيَ الثّكلى بأفكارِ الخُواءْ

تخرجُ طينتي العفويّةُ الحرّى مغرّدةً دون فمي الصّغيرْ

بؤسي جميلٌ ناعمُ الحركاتِ مشويٌّ

بأطرافِ التّماثيلِ الّتي صَلَّتْ عليّ عند منتصفِ الطّريقْ

يدي شلّاءُ مثل صوتٍ في عزاءْ

والصّمتُ باعثُ أفعوانْ

رأسي تعذّبني وتدوسني وتدسّني في عنقها

تُسْقطُ الأوراقَ عن غصني وتتركني كسؤرةٍ من بعض ماءْ

معي وحيداً كنتُ أغرقُ في العراءْ

أيّ معنىً لم تكوني أنتِ فيهْ

إنّما صحراءُ تيهْ

تستولي على هذا الفضاءْ

(6)

أصدقائي الغرباءْ

يضيئون القصيدة نجمتينِ

يقشّرون معي الحروفَ

ويوقدون النار بين سرائري المختبئةْ

لا فرق يجمعهم سوى بعدِ النّظرْ

مرّة يكتشفونني ويفضحون دمي القتيلْ

ومرة يضّاحكون ويسخرون

ومرة يتبلّجون كنغمة معَ كلّ أمرْ

يبتكرون معناي المحاط ببعض سرٌّ

دمي، عينيّ، بعضَ أصابعي، وياسمينة منزلي

ورؤيا من القمرٍ الغنائيّ الجريءْ

واستعارة وردتين من جسد تشبّع بالبلاغة

لعبة الشّكل المجازيّ البريءْ

(7)

وما ذنبُ الحياةِ تقولُ خذني

وما ذنبي أنا «عَلّي، كأنّي»

أجدّفُ في مدى روحي وحيداً

وأغرق في متاهات التّمنّي

أنا جائـعٌ للسّرد

من يكملُ اللّعبة عنّي؟

التّأرجحَ بين الجملتينِ وبيني

أنا جائعٌ للسّردْ

أقصّ عليكِ رؤاياَ الطّويلةْ

أتأمّلُ الأفعالَ

كيف تنبُتُ في طرف الجملةِ منّي

تزدهي بخروجها على القانون

جائعٌ لعجينة التّوليفِ بين نقائضي ونقائصي

جائعٌ ليَديْكِ يشكّلان الوقت في سَجّادتي

أمنيةَ السّماءِ

جائعٌ لِديكِ الجِنّ تسري حبيبتُه القتيلةُ في انتباه قصيدتي

وتشرب من فيضانِ دنٍّ

جائعٌ لحليب لحن أغنيّة تراوح رقصها على الشّفتينِ

جائع لسيل الضّوْءِ من قمرٍ يضاجع غيمة تلهو على أطراف كونِ

جائع للسّردِ

أسمع القصص الجريئةْ في دم الغواية عند فضّ بكارة المجهولْ

تعيد صوغ حكاية العشّاقِ في غابةِ الظّل الكثيفةْ

جائعٌ لأكونَ طفلاً في يديه خيطُ طائرة الورقْ

وفي عينيه شوق الذّهاب إلى محيط الكلماتْ

جائعٌ لهذا الوقت الذي يمضي على عجلٍ

أشدّه بفتائل «المَلِكِ الضِّلّيلْ»

لعلّه يصحو من سكرة الكأسِ البئيسة تلكْ

ما زال يشرب كأسه كلّ نهارٍ

ينسى السّرد في الصّحراءِ

تأكله الحرافيش البدائيّةْ

أقلّم عن قصيدته الوقوف على الطللْ

وأعذره إذ ضلّ في طريق الاغترابْ

أنا جائعٌ للسّردْ

يا ليت أنّ الوقتَ يشبع من ظلّي على الجدرانْ

ولا يجري على لغتي

ليت أنّ الوقت لا يقضمُ وردة الحقل ويأسنُ ماؤه في غرفة صمّاءَ

قدر يدي

هذي الحكايةُ ذاكرةُ النّجومْ

تركتُ ألفاظَ الغيوم ناقصةً

تبحث عن مسندٍ إليه يسندها من التّغيّر وسط بحر السّردِ ذاكْ

لا شيء يكملُ سردنا سوى سردٍ إضافيٍّ

يزيد نقصان المسافة كلّما احتمل الكلام حكاية أخرى

أنا جائعٌ جدّاً لسردٍ ما

يدخلُ التّاريخَ

يفصل بين روايتينِ

يضيءُ الحاشياتِ جميعَها

ويفشي سرّ أقوامٍ أتت بغرائبٍ وعجائبِ

أنا جائعٌ كي أقتلَ الرّاوي الّذي قد صدّق الرّؤيا

وصاحَبَ السّلطانْ

وأخفى الصّولجان تحت ذراع شاعرٍ يتقنُ السّرد

كما يتقن الرّقص على شفة المجاز

أنا جائع لسردِ السّرِّ

وحشيّاً شديد الهذيانْ

ليرى الفقيهُ أبعد من فمٍ وقلبْ

وجُبّةٍ بيضاءَ أثقلها الذّهبْ

أنا جائع لأرى الكلامَ بلا زوائدَ

لا سماءَ لهُ

يشبعُ السّردُ

يكتبُ الرّاوي حكايتهُ

وتنتهي اللّعبة كلّها

يرتاحُ الطّغاة من تأويل شمسِ الأغنياتْ

من سيتركُ سرده على أصابعهِ دماءً للّذين يعانون فقر الدّمْ؟

وحدها الفراشة لا تعاني من فقر الدّم

(1)

الفراشةُ الّتي رفّت بجناحها يوما عليٌّ

أكلها الضّوْءْ

والنّحلةُ الّتي هاجت على وقع وردةْ

غرقت في عسلٍ وشمعْ

والقصيدة الّتي فرحت يوماً بمولدها على نهدكِ الفضيِّ

ضاعت في زحمة اليوميْ

لم تعد تسترجع الذّكرى كي لا ترشَّ امرأةُ الطّيف ملحها على قلبٍ مبلّل بالحبْ

الحبّ هذا الّذي لا يدري أين هو الآن؛

كالنّفس اللّوّامةُ عند زقزقة العصافيرِ

واقفاً في الرّيح يلمّ الفراشات واحدةً واحدة

حائراً في جناح النّحلة الغارقة

مسافراً بلا وجهة معروفةٍ

مراياه النّساء العابرات العابثات العالقات على الحرف الأخير من القصيدةْ

(2)

يتخفّف السّاردُ شيئاً فشيئاً من روايتهِ

يقفُ الوزنُ العروضيّ الجبانُ عائقاً بين السَّماءِ

وبين أرض السّردِ

بيني وبين اللّغةِ الّتي تندسُّ بين أصابعي خلسةً كي تضيء الطّريق إلى القمرْ

يختصمان في المعنى

يُقدّمانِ، يؤخّران، ويسقطان

كلاهما انغمس الجناح بصدره ليحلم بالفراشةْ

فلا يولد الحبُّ

ولا يلد الشِّعر قصته

والسّرد يشبع من غلوائه في عقد حبكته

كلّ ما في الأمرِ أنّ فراشةَ تشهد: «أنْ لا إلهَ إلّا الحبّ»

ونحلة طافحة في المحبة يفعل فيها السّرد أكثر ما تفعله القصيدة الباردةْ

(3)

انتقال مفاجئ للّغة الصّابئة

كي تكتب الجملة الفاتنةْ

وتزجّجُ العينَ بمرود الوحي يدُ القمرْ

وتغسل بالغيمِ وجع الشِّعرِ

تسكن في المسافة الباقية بين جناحين وجملتينْ

قصيدة سرد وآية وحي شهيّة

يكفي القليل الذهبيُّ من السّنابلِ

كي تقومَ الفراشة من مرقدها تحدّث عن متعةٍ لن يراها غيرها

(4)

في العادة يسقط عند إعادة الأحلام بعض التّفاصيل

تشكّل ذاكرة أخرى لقصّة قادمةْ

يحاولُ بعض الرّواة الحالمين رؤيتها

هيهات أن يتقن السّاردون رؤيا الشّعرِ

أغنيةَ الفراشةِ في الضّوْء

وحدها الفراشة لا تعاني من فقر دمِ السّردْ

ينقذها طعم اللّذة في جناح النّحلة الحائمةْ

ويبقى ذلك الّذي رأى لا يُصَدّقه الرّواة العابرون

نَبِيُّ الْوَرْد

لو كنتُ فظّاً أو غليظ القلبْ

لانفضت طيور الشّعر من حولي

ولم أسمع ملائكتي على كتفيّ

وهي تصوغ أسفاري

وتسمعني نبيّاً مرسلاً للوردْ

في وحي العلاقة مع ترانيم انبهارْك

لو كنتُ غير «أنا» لم ينبت الزّنبقْ

ولم يتبدّلِ اللّيلُ الطّويل إلى نهارْك

ولم تتفتّح الأشجان في غصنٍ شجيّ

ولم تأكل جذور قصائدي من لحميَ المرويّ

من غيم انهمارْك

لو كنتُ ليلكة أسير التربة الحمقاء

لم أشعر بعذب طهور مائكْ

ولم تغسلنيَ التّقوى

ولم تغمرنيَ النّجوى

ولم يثمر على أشجاري الكبرى العريقة

حرفُ غاركْ

لو كنتُ غيري

أو شبيه حشائش الموت الدّفينْ

لم أكتحل بعناق أغنيتي بأغنيتيْ مسائكْ

ولكنتُ فيك الغربة الشّلّاءَ

تذوي

وأذوي في جوارِكْ

لو لم أكن بالحبّ مغتسلاً

بأنهار الغواية لم تكن هذي القصيدة غير

سردٍ أسودٍ يشتو بأنّات انتهائكْ

لو لم أكن بالحبّ عاشق آيتي

وترتيل المسافة من تباريح انتظاركْ

لم أجد لي راثياً

وأودعني السّرابُ صدى اختياركْ

لو كنتُ فظّا أو غليظ القلبْ

لم تستقم لي هذي اللّغاتُ على المعرّف من بهائك

ولكنتُ مثل وريقة صفراء جرجرها الخريف

ومتُّ حيث ولدتُ

وكنتُ في الدنيا مدامعَ الأيّام

مثل ليلةِ شهرياركْ

لو كنتِ هناكَ غير هنا

لحرّفني المجازْ

وأشقتني استعارات احتضاركْ

وأبدلني الضّياءُ سديم غرغرة الحناجر

عندما يأتي الهوى بعض احتمالكْ

ولكنتُ في قاع الجحيم مع الرّؤى السّوداء

يحرق إصبعي عند الكتابة سرّ نارِكْ

لكنّما كنتِ الملاك الطاهر المكتوب في كتفيّ

سفراً جامعاً وحياً يشاء مشيئة الإحياءِ

إشباعاً لذاتي إذ تعرّف وحيَ ذاتكْ.

«أنا» مجموع أسئلتي الشّقيّة

(1)

هيَ السّاعة الآنْ

الثّانية بعد منتصف الماءِ

ما بين حرفَيْ ألِفٍ ونونْ

تبكي العقارب في الأرض مثليَ

ثكلى

وقتلى

هيَ السّاعةَ الآنَ تشهدُ

بالتّشهُّد

ونضوج الأسرّة بالقهر العنيفِ

الصّاحبِ الأوفى

(2)

تُعرّي نفسها مرايانا القبيحةْ

تخرجُ من جلدتها

تقشّر حُبَيْبات اللّقاح عمّا قريبْ

عنِ امرأةٍ فارهةِ البدايةِ

تسبح في طواقمها المحكّمة الطّويلةِ

كأنّها الليلُ المضيئةُ بي

ينقشُ/ ينكشُ ألواح الخشب المزدان

بالنّتوءات المقعّرة الرّؤى

وتبصر الرّاحلين كواكبُ معتماتْ

(3)

ماذا ترى في ذاك السّرب المصفّد عند الثّانية إلّا الموتَ المفاجئ/ نا؟

ترى العين في الأرض كالقرفصاءْ

تشاهد اللّام بلا ضبطٍ لغويٍّ سليمْ

تطالع موتنا في شكلِ مفردةٍ ستبدأ هكذا

ميماً وتعود ميمْ

(4)

الآنَ تتقدمُ الأنفاسُ تحبو بين الدّقائق

تتصنّع الصّنعات تصنع صنعةً أخرى على الأطرافْ

يصطرع الآنُ على الآنيِّ

يحتكم القبْلُ والبعْدُ دون أدلّةٍ أو ظلّ

ويبقى كلّ شيء مثلما شهدت به أرض الأساطير العتيقةْ

وتبوء بي حروفي الخائناتْ

تدير عقارب وقتها الذّابلاتِ

حيث تشير نحو الثّانيات الأخرياتِ ما بعد منتصف الجفافِ، إذ يتشرّب الوقتيُّ مائي

أسرّح شعر الكائن الميّتِ في رؤوس النّصوص الذّائبات على الجسدْ

بهزّة من ردف موسيقى الوقوف على ساقيتين منّي

(5)

يمّمت شطر الشّاطئ المسكون بخوف الوقت

نقرت الباب وهمياً

فامتثل المدّ وجاوبتني الأشرعةْ

ودخلت عمق اليمّ

وصرت مثل الوقت بعض الوقت

وانتصرتُ على «الآنِ» اللّحوحةْ

وأعدتُني للماء عند الثّانية بعد منتصف الرُّواء من الماء الّذي كُنتُ «أنا» حرفين من ألف ونون

وتحرّرت نفسي من ذلك المدعوّ في لغتي «أنا»

(6)

عندما نظرت إلى عجيزتها خلسة انفجر الدّم في عروقي فجأةً

عندما رأيت ما بان من خطّ نهديها نشبت أظافر لحمها في عروق أصابعي

عندما اعتدلنا سويّة في الطّريق إلى خلوة للحديث الطّريِّ تناثرت جملي على شفتيها قُبَلاً تغرغر في كؤوس السّاعتين القصيرتين

عندما انتهى الوقت فجأة دون سابق تحذير

صحوت من سكرة الموت في حضرتها

واستشرس الوجع الطّويل

«ومضى كلٌّ إلى غايتِهِ»

وحرائقي خمدت

غرقت في برد الطّريق

وحدي رجعت ألمّ شظيّتين من قلبي

وأضحك ساخراً منّي عليّْ

(7)

يحوّلني الحبّ إلى مراهقٍ في اختيار الأغاني

في تلقّي دعوةٍ خاطئةٍ لأكون «هناكْ»

يرقص قلبي لثانيتينْ

ثمّ يخمُد بارداً

يحملني الحبّ على تفسير قرص الشّمسْ:

وجهٌ له عينان باسمتانْ

ويقول لي بغنجٍ: «هَيْتَ لك»

يضحكُ الحبّ عليّ يوميّاً عندما أرمي رسالة في البريدْ

وأنتظر الجوابْ

وأخيراً تسقط الشّمس بعيدة عنّي

ويطفئ اللهُ العالمَ عند المغيب

تؤدّبني

سنواتُ عمريَ السّتةُ والأربعونْ

وأكتفي بالأغاني

أسمعها على نفسي طوال اللّيلْ

(8)

وأنا لستُ صديقاً لأنا

غرّبتُ عنّي الظّل والكلمات وطعم كأس الخمر في وهَجِ الصّباحِ

عند صيام جوارحي عن كلّ عصفورةْ

وأنا الـ أسيرُ

تمسكني امرأة

وتكتب فكرتي عنّي

بأصابعي

متخلّقٌ منها بها على راحتيها

لأكتبها وتكتبني

وأقرأها وتقرأني

وتكشف عنّي نصف ما اختبأت من الأفكار فيهْ

وأنا لستُ صديقاً لأنا غير أنّي مثلها

صديق أغنية أحمّلها حنيناً لست أقوى أن أقول غوايتهْ

رحلة متطاولة يسير فيها الضّوء مرتفعاً ويغرق في الأنا الأخرى

يفصّل في الأنا الأولى

وأنا لست صديقاً لأنا لأنّني الآن لستُ أنا

غير أنّك لي أنا، فأنا أنا الآن إذ أنتِ أنا

(9)

كأنْ لا شيء يشبهني هنا

ولا حتّى أنا

ولا لغتي

ولا ظلّي المكوّر في الجدار

ولا ليلي الـ تسلّح بي وغار في عصبي وثارْ

كأنْ لا شيء يشبهها هناكْ

حيث تقيم في وادي الرمالْ

مع كلّ عاصفةٍ تبدّل وجهها ككثبان الخريفْ

كأنْ لا شيء يشبهنا معاً

غير أنّ الصّمت يحسُن ههنا

تقفين حيثُ أقفْ

والظّلّ مختلفٌ عليكِ مؤتلفٌ عليَّْ

وقامتي عرجاء

تصغُر كلّما وقف الظّلالُ إلى ظلالكْ

كأنْ كلّ ما فينا ليس لنا سواهْ

الحزنُ والخوف والقلق الرّهيبْ

والطّريق المستحيل إلى دمنا المكدّس بالنّصَبْ

(10)

متى

تفطرين معي على موائد كرنفالِ السّاحة الكبرى بلندنَ أو بيروتَ أو نابلسَ أو في الشّامْ

تمازجك اللذاذة شهد طعمكْ؟

ومتى تحملني قدمايَ تحرسُ وقع الخطى يتعانق الخطوانِ في سفركْ؟

ومتى

تطعمين الحمام في مكّة حبّات قمح سنابل شعرك؟

ومتى

يعلنُ التّقاة الحبّ فيجلسون معي لنكتب فيك قصيدة غزليّةً تسارقها الفتيات بحلو ثغركْ

ومتى

أزورك في العلنْ

لنظهر فوق متن الرّيح أغنية جديدةْ؟

ويبتكر النّشيد جنون رقصكْ؟

ومتى

أغلغلُ حبّتي كرز تشاكساني بضحكة نهدك؟

ومتى

سيلبسني الشّهيّ النّاعمُ من جسدكْ؟

أعود طفلا بدائيّ الشّقاوة أستلذّ بدفء صدركْ

ومتى

«وحدي» و»وحدك» يؤنسان شهيّ سردكْ؟

(11)

سَرّ من رآك يا قامة الشّجر الظّليلة في المكان

سَرّ من أهديته بسمتك النّاعمة الشّفيفة مع كلّ طيف من كلام

سَرّ من جَمَعْتِ شجاعتَهُ ليرسم قلبه في هامش الصّورة

سَرّ قلبي إذ جريت به لحناً شهيّاً لا ينام

سَرّ الوجود الشّاعريّ الحيّ يا غصناً شبابيّ الحياة

سَرّ السّرور الاستعاريّ المحتّم في الأناقة والأناةْ

(12)

في غيابك أصبح فوضويّاً

والقصيدة يعلوها الذّهولُ الحرِجُ

تنام اللّغة الحيْرى على شقّها الممسوسِ بي

ولا جدوى من الأسماء والأفعال

وترتيلُ الغيوم غيومْ

خائفةٌ هي الرّيح من نفسها تلولب في فناء البيتْ

كأنْ هاربةٌ من المنفى إلى المنفى

لا شيء يضحك ههنا إلّا الملَكان على كتفيّ

لا سيئاتِ إذن ولا حسناتْ

كلّ شيء ساكنٌ سَمِجٌ ضبابيّ الملامحِ

لا شاعريّة فيهْ

في غيابك

يقتل الملُّ الكثيف رتابته بالمزيدِ المزيدِ من الكسلْ

في حمى الإلهة آفروديت

(1)

في المدينة امرأةٌ أخرى تفتّش عنك فيَّ فلا تجدني

وتنظر من خلالك في خلايا الشّمس تعبرني...

وتطيل في يدها تلمّس ما تخبَّأ منكِ

منّي

وتنطق ما تكتّم من هول السّؤالِ تحاول أن تراكِ ولا تراني

تقلّب في اللّغات وفي ظلّ هناك على الجدارْ

هي مثلنا موجوعة ومولّهةْ

تنسلّ ما بيني وبيني

فجأة فكأنّها عرّافةٌ لتقول لي بالحرف ذات الاسمْ

- كيف عرفت ذلك؟

- وكيف ينبت في شفتي على شفتي ظلال البيلسانِ؟

- لكنّ صورتها تقولْ

لعلّك تكذب يا صديقي

وتداركتني كي تضيفْ

- هيا ابتسم

وغادرتني دون ردٍّ أو تأنٍّ

وأوجعت منّي قلوباً حدّها حدّان من سأمٍ وظنٍّ

(2)

سبعون ألف ملاك يُجْلون صورتك الشّفيفة في دم النّهرِ

ويحملون العرشَ

عرشك المحفوف بالشّهواتِ والنّشوةْ

ويرتقون لمجدكْ

سبعون ألف رواية أخرى تقوم على عتبات بابكْ

ترفعكِ عن رجس هذي الأرضْ

كي تمشي على الماءِ

حيّة مثل نبيٍّ أو وليٍّ وحيَ وحدِكْ

سبعون ألفاً من رجال اللهْ

يستلهمونك في كتابِ الأساطيرْ

ولا ينجحون تماماً كي يقولوا جملةً من بعض قولكْ

سبعون ألف كتاب يشغل كُتّابَها في الانتباه لسرّ لونكْ

ويتوهون كما تاهوا مذ أوّل الخلقِ لا يهتدون بغير ضوئك

سبعون ألفاً من مصابيح الرّواة تضاءُ

يوم كنتِ ويوم صرتِ ويوم أضأتِ

ويوم ارتحلنا إلى مسارح فيضك

سبعون ألف نعيم بين ركبتيْكِ وبين حقول صدركْ

ونظلّ نحن الفقراءَ إليكِ

الضّعفاءَ

والعطشى

حيارى

جائعين

على موائد خبزكْ

ويوم كنتِ صار النّورُ مجد اللهْ

وابتدأ البدءُ والشّرع والدّين والدّنيا لأجلكْ

سبحانَ سبحانَ سبحانَ ما أعظمَ شأنكْ

(3)

لو أني أقرأ أسرار الجملةْ

أكتب شيئاً للنّجمة

وأحدّق في حلَقِ الوردةْ

أتوضّأ كي أبصر أنّي حيٌّ

أسجد كلّ الوقت لكي أسمو

تغرقني الجملة تلك بماء الوردْ

لو أنّ الوحي يفكّكني سطراً حرّاً في منطق «قدْ»

(4)

أنتِ شديدة الجوعِ

وأنا كثير العطشِ

فاروي الحكاية لي على صغير المائدةْ

واملأي الكأسَ من الشّفاهِ الأربعةْ

هنا شيء تخلّق منك عليّ منّي

رؤية بيضاء تقرأني على مهل الضياءِ تَكُنّي

لم تخبّئني مجازاً

لم تُكَنّي

لم يخنّي غير أنّي

هنا ولدتُ على لغتي

وأنتِ هناك مثلي

نحتاج شعراً طويلاً كي يعبر الرّؤيا لنا تحت ذاك الظّلّ ظِلّي

نقتسم الوقت على الوقتْ

لك ليلتان كثيفتانِ، بعضُ ضحى وعصرِ

ولي صبحان مختمران بكأس عصرِ

ورشفتان وعينُ طيرِ

كي أكمل المشوار من شرقٍ لغربِ

أعدّيني وعِدِّيني وعَدّيني وعودي بي لأوّل ما تراقص من لُعَبي

أنا المحتاجُ كي أحيا إلى شغفٍ شقيّ

أو جنون الشغبِ

تراءيْ لي على بعدٍ كأنّك كنت لي ضباباً واضح السّببِ

من جاع جاءَ

ومن يجوعُ يفيء لظلّ حقلِ

(5)

لأول مرةٍ من ألفِ عامٍ عندما غسّلتني القابلةْ

بالماء والملحِ تقشّر جلدي

وصِحْتُ كأيِّ طفلٍ بدائيٍّ

بحثت بين أغطية السّرير عن يوميَ القادم

من ألف عام وأنا طفلٌ شاب شعري كلّه

وصرت أدردَ

أحلم كلّ ليل بماء النّرجس الحيويّ

ولم أتعلم الحكمة

وكلّما قرأت في الأفكار

طفلي يذكّرني بملح القابلة

لأوّل مرّة أتوه بما لديّ من عشب بابليٍّ

أشرب من دفوق الصّخرِ

أطعم التّراب الأسود الطّينيّ

لأوّل مرّة من ألف عام وأنا أبحث عن فكرة أخرى

بامرأة أخرى

لأعبر بين كفّيها نضوج مرحلتي الطّفوليّة

من ألف عامٍ وعمري أربعونْ

طفلي ما زال يسبح في خليّته الجنينيّة

يحتاج حليبه الأوّل المنسيّ في أنساغ أمّي

دافئاً ما زال يكتبني بياضاً أزليّا

(6)

الصّبح يفضح كلّ شيء سوى الرّيح

لا شيء يُسكتها على أطراف هذا الكون

تظلّ تركض تركض إلى ما لا يُحدّ

لا تعود الرّيح

لا تنتهي

لا تبدأ من جديد

موجودة مثل الأزل

لا تنام الرّيح أيضا

كلّما حكّها غضب الإله انتفضت

مرّة في كلّ عام تصرخ في الموتى أنِ «افسحوا يفسح الله لكم

هناك موتى وافدون فأكرموهم»

تفتح الرّيح شدقيها لتأكل أكثر ممّا ينبغي

خيماً ولاجئين

وركّاب بحار

كلّ ما هو ميّت حول صوت الرّيح مات بصوت ريح

لا حلّ إلّا أن تهدأ وحدها

لتكمل بعد حينْ

(7)

تصيرُ بحراً

مسرب ضوءٍ فاتنٍ

تشرب الغيمةُ شخصكْ

يعصر المطرُ

الربيعُ

المدُّ

قمحكَ... لحنكَ... فجرُكْ

تهمي عليّ قصيدتينِ

وأعلي في المسارح شوقكَ، حرفكْ

إذ أكونُ على المباسم وردكْ

تزهرُ فيّ حدائق المعنى

قمراً تصيرُ تطوف حوليَ سبعاً

أروّي في ثنايا الضَّوْء صوتكْ

وأرحلُ فيكَ رحلتك الأبديّة هذهِ

وأرى ما لا يراه السالكونَ

الحاملون الوهمَ وهمكْ

لذلك أعتني وحدي بصوتي

يردّد دون خلق الله مجدكْ

ليصير هذا الكونُ

وحدكَ وحدكَ ملككْ

لِمَ لم تمت لغتي إذن؟

(1)

هذي الرّؤى شمعة تُضاء على جانبيّ

تنامين كلّ ليلةٍ على ساعديَّ

وأغفو مثل حلم الأنبياءْ

يضحكُ لي وجهكِ في قصص الحبّ الطّويلةِ

والمجازُ القصير في القصائدِ

ينمو كأسطورةٍ هاربةٍ من كتاب الفلكْ

ليستْ «أحبك» كافيةً لتكون رمزْ

(2)

يحدّق الكلام في شفتيكِ

زهرةً

ضحكةً

وألوانَ فرحْ

حسْبُ القصيدة عشبها النّامي على ضفاف القلبْ

(3)

تمصُّ دمي لغتي

تحوّلني إلى شيءٍ خياليٍّ كأنّ السّردَ

سِرٌّ

ماءْ

المرأة الّتي أحببتها في العقد الأخير من عمري

شعرُها فوق رأسي

ترفرف في نسائمها هناكْ

لم يبق لي سوى هذي الحكاية

كلّما استعصى الوحيُ عليَّْ

قدّمتُ قرباني على لغتي

لِمَ لمْ تمت لغتي إذن؟

خطوتانِ

أخريان ويشتعل الوجود بزقزقة الهدوءْ

(4)

الطّفلُ الطّازجُ البريءُ القادمُ من حكايتنا القديمة

لا يشكو من انتفاخ الوقتْ

يأكلُ من شغفِ الدّهشةِ

يكتبُ شعراً أكبرَ من حكايتهِ

أطولَ عمراً من لغة البحرِ والذّاكرة

الطّفلُ مثلُ شمسٍ غارقةٍ في شفَق الأفقْ

مثلُ سحابةٍ مُشْبعة

مثل نصّ مُحمّلٍ بطَعْمِ فراشةٍ

رؤيا من التّأويلِ

لحظةَ اجتماعِ الظّلّ باللّا ظلّ

ينتبه الكونُ ويصغي لحفيفِ النّشوةِ في الضَّوْء

(5)

يا ليتني

أغرقُ في سمرتها بمسك ترابها

تبتلّ في عرقي، أسمو برونقها

تنداح مثل دائرة على شفتي

فتضرمُني بعمق مياهها

يا ليتها شجري في يوم عطلتها

وكأس نبيذها

تغلغلني فأثملُها بليل شرابها

رقصي الشّهيّ على مرابع ردفها

نهري وغيمي وانهيال قطوفها

ملائكتي الـ تعرج نحوها

شعاعٌ قائم، حلّ الضياءَ ببابها

يا ليتني جُمَلاَ تمرّرني على مساحة صدرها

يناجي أيمنُ النهدينِ «سرديّاً» يسارَ فؤادها

وأكتب عاشقاً:

«موتي هنا

وحياة روحي ههنا بطعم نواتها»

يا ليتها تعلو وتدنو

أستظلّ بظلّها.

ما يرويه عن ربّه الماء

(1)

حدّثني النّهرُ وقال:

فيما يرويهِ عن رَبِّه الماءْ

فيما يكتبه في جذع الشّجر العالي

فيما تحفظه الغزالة المنسيّة في سفوح الجبالْ

فيما تركته الأغاني الطّويلةُ من لحنٍ

على شفاهِ الرّواة الرّعاةِ الشّاردين من رصاص الهواةْ

فيما نشرته الصّور الغريبة من دعاية للنّساء الحواملِ

في فكرة الاختزالْ

حدثني النّهرُ وقالْ:

«كلّ ما تراه منّي ههنا

محاولة كي أعيش حياتي كنهرٍ بعيداً عن منطق الاعتقالْ

وأن أداعب حصوتين في المجرى

وأرى وجوه الفتية النضرةْ

تغازلُ الفتياتْ

تمسدّ شعرهنّ الناعم المبلول

ويقطفون القبلة الدافئةْ

ويقذفون النّار في عمق المياهْ»

(2)

تراودني الأحلام عن نفسي

أن أصبح طيناً مجبولاً بعرق الشّجرةْ

أو شمساً دائرة على وجوه النّساء تشرب دفء أسرتهنّ

أغنيةً تأكل قلب شاعرها على الطّرقات

تراودني النّفس عن أحلامها

أنشودةِ الصّبح في حديقتيَ البكرِ

تطلّ عليّ العصافيرُ بريشها النّاعم

تدسّ صوتها في القصيدةِ

أراك الآن تضاجعين عنّي الضَّوْء

(3)

لو كنتِ معي في المدينة الآنْ

لاستمع الهواء إلى حفيف شهوتنا

وحفّتنا الملائكُ في فردوسنا الأعلى

لو كنّا معاً في هذي اللّحظة بالذاتْ

لكان شاعرٌ آخرُ يكتب هذي القصيدة عنّي

وعاشقة أخرى تقف أمام جلوتها على المرآةْ

وشاعرةٌ غيركِ تلبس نظارتها لتكتب وحيها

وتمتدحَ الكلام الشّاعريّ

لو كنتِ هنا الآن لصار الورد يضحكُ في الشرفاتْ

ولصرتُ غيري

عاشقاً ممسوساً برعشة وردكْ

(4)

أراك هناك حيث يلتقي الماءُ بالماءِ ليطفئا النّارَ الّتي اتّقدت هنا في وصلةٍ ماطرة

أوزّع الوقت بين لحظتينِ جميلتينِ تشتبكانِ في لحظةٍ واحدةْ

أثرثر طفلاً لا يستر عيبه إلّا احتمال الهوى في الجلسة الشّاهدة

أُوْدِعُ الأسرار الّتي ازدحمت على شفتي لتزهر ضحكةٌ ورديّةٌ في الشّفاهِ الفاتنةْ

أرتّب الأغنياتِ على وتر القصيدةِ في السّهرةِ الجامعةْ

أحلّلُ نجمتينِ فائرتينِ على صدر السَّماءِ لتغدُوَا نجمةً راضيةً في خفقةٍ والهةْ

«أنام ملء جفوني» بين ذراعيكِ يحرسني صدرُك اللّؤلؤيُّ في غمرةٍ دافئةْ

(5)

أتعرفين متى أشفى من مرضي بك؟

عندما يتحدّثُ الآخرون عنكِ

بحبٍّ ولا أغارْ

أو يؤلّفون عنك الإشاعاتِ

ولا أمتعضْ

أو أعترضْ

ولا تتغيّر ملامح وجهي

يسألني صديقي ساعتئذٍ إن كنت أحبّك

يتأكّد كذبي في كلّ مرّةٍ

وأنّني ما زلت مريضاً لن أشفى

(6)

ما أقبحني!

ما أجملَ كلّ من سوايْ!

النار تأكل بعضها فيْ

وتنتهي منّي أنايْ

وظلّي الأعوج في الصّورةِ

في المرآةِ

يسخر من وِقفته على عتباتها

ويلهو في هوايْ

صوتي يؤرجحني على نغماتها الولهى

ويصيح في وَلِهٍ صدايْ

(7)

في اللّيلة الفائتةْ

تفتت القمر النُّحاسيُّ

والحسناءُ غرقت في ضوْءِ أبيضها

وملائكٌ وقفت على رمشَيْ ذهولْ

هناك عند اتّحاد الوجودِ اكتمل النّاقص فينا

الأبجديّةُ صارت ثلاثين حرفاً

تشبّعت بملامح الأزهار والأطيارِ والأشياءِ

والاسم أصبح قوّة متمرّسةْ

في اللّيلة الفائتةْ

كانت الأساطير تأخذ بعداً حيويّاً

وتُكتب من جديدْ

(8)

عندما نلتقي لأوّل مرّة بعد غياب عنيفْ

لي عليها شهوتان

شهوة المتعة في مفاتنها

وشهوة الفرح المؤجّلْ

مذ عرفتُ طعم سمائيَ الأخرى

أفرغت في الوقت

غيم حمولة زادت عن شهوةٍ تشتاق دفء دمي

رقصت عيناي في فرحٍ

فرّت من الشّفتين جملة عاشق مشتاقْ

وجعي المعجّلُ شهوة أخرى تربّيه التّغاريدُ

ربّما في شهوة أخرى نفيض على جنون من عناقْ

(9)

أجدّد الذّاكرةَ، الكُتّابَ والأفكارْ

أجدّد القلبَ والشّفتينْ

أجدّد الرّسائلَ والأغنياتِ

رائحة الورد في الشُّرفةْ

أجدّد الجمل القصيرة في القصائدِ

أرفع هامة الزّهرة فوق رأسي الأشيبِ المحنيِّ مثل عبّادِ شمسْ

أجدّد هذا الهواءَ الأسودَ الفاسدَ في رئتيْ

رطوبةَ الغرفةِ

بيتَ العناكبِ في السّقف الأيمنِ من غرفةِ النّومْ

أجدّد الأقلامَ والأفلام والأحلام والقهوةْ

السّجائرَ والدّمْ

ما قد يجدّ عليّ لحظيّاً؛ لأولدَ من جديدٍ كلّ يومْ

(10)

إحدى عشْرةَ نجمةً للحبّ

شفقيّة ترنو بضحكة سحريّة في القلبْ

ملساءُ ناعمة لتُكتب الذّكرى بعيد الحبّْ

هيفاءُ فارعةٌ شرقيّة اللّفتاتِ لوَّنها الذّهبْ

ليلاءُ نهرِ مدينةٍ يسبّحُ في أماسيها الطّربْ

شمّاءُ بارعةٌ كروح الأغنياتِ بقلبِ صبّْ

إحدى عشْرةَ نجمةً تغازلُ القمر البهيَّ كالمرايا الفاتناتْ

تغسله بأشواق السُّحُبْ

هدوءٌ ناعمٌ في شفتينْ

مشوبٌ بالحذرْ

كأسٌ وموسيقى وعنقودُ عنبْ

أمنح الشّهوة قوّة أخرى على تخوم الرّبّْ

علّ الصّهيل الحيَّ يخلق رعشة كبرى بعمق الجُبّْ

(11)

كوني الفوضويّة

كي يعيد العالم ترتيب النّظام الدّاخليّ

واستريحي في امتداد الشّجرةْ

ثمْرة ناضجة ونشوى نضِرةْ

واكتبي نقش السّماء على ليالي السّحرة

واستعملي حَجَري ورواداً مشبعاتٍ

ليلة متعطِّرةْ

وتغلغلي في داخلي يا داخلي

مثل الرّياح الممطرةْ

(12)

كنتُ قبلَ اليوم

أمقتُ اجتماع الحروف باسمك الرباعيّ

أكرهك حرفا حرفاً حتّى انتهاء اسمكَ العائليّ المخيّب ظنّ الهدوءْ

أتحاشى كلّ ما يذكّرني صوتكَ، شَعركَ، شَكلكْ

الصّحيفة الّتي تشتريها وتكتبُ فيها

ولم نكن أصدقاء على الفيسبوكْ

الآن، ومنذ هذي اللّحظة من نور الحقيقة السّرمديّ، أحبّكَ

حتّى لو سرقت منّي حبيبتيَ الوحيدة وراقصتها ليلة الجمعة في البارْ

أو همست لها في اللّقاء الأخير بكلْمتينِ وضحكتينْ

وشربتما كأس نبيذْ

ولوِ انتبهتَ لفتحة صدرها وتأمّلت مثلي خطّ نهديها السّاميينْ

أو تلوت لها سردك العبقريّ

وراجعت لها قصائدها مثلي تماماً

وعدّلت وضع الهمزة في كلماتها على الكرسيّ أو منفردةْ

أو مثلي تماماً صوّبت أخطاء النّحو في قصيدة تُلقي إيقاعَها على كتفيكَ في المطعمْ

لن أكرهك بعد الآن حتّى وإن ضاجعتها بكامل شهوتها

هيَ لم تخنّي ساعتئذْ

إنّما كانت تجرّب الحبّ معكْ

وتشكوني إليكْ

أعدكَ؛ ألّا أسألها عنكَ كيْ لا أزعجَكْ

وأبقى أحبّكَ

متواطئاً معها عليكْ

نظلُّ دائرة ندور في هذا الفلكْ

(13)

أفتّش في صورتها عن مسرب نحو نهديها

أقاتل الفراغ والظّلّ كي يفتحا لي كوّة في صدرها

أقرّب الصّورة

أُبْعد الصّورة

أستجدي الضّياء والعدسةْ

لا شيء ممّا يدور في مخيّلتي تلك اللّحظة الحرجةْ

أكفر بالتّكنولوجيا والضّوءِ والاحتمالات السّمِجَةْ

أهشّم ما تخايل منها في شاشة العرضْ

تبصق في وجهي الشّياطينُ الّتي مزّقتني

وأنام بين أسنان القلقْ

لامرأةٍ تصنعُ التّاريخَ بالقُبْلة

(1)

القبلةُ عاريةٌ بيضاءْ

تتبخترُ... تحتدمُ

القبلةُ تأكل قُبلتها إن لم تجد ما تأكله

الشفة العليا تأكلها السفلى

برحيق الشهوة تأتدمُ

القبلة موسيقى الشوقْ

بجموحِ اللحظة تلتحمُ

القبلةُ دفءٌ شمسيٌّ

بصفاء الليلك يلتئمُ

(2)

قبلتها بين الشفتينْ

قطرة ولهى على الخدّينْ

ما بين الحياة والحياة الآخرةْ

طيرٌ مهووسُ النهدينْ

هذا القادم من وردة فمْ

العالم في هذا المعنى:

القبلةُ كائننا الحيُّ...

اللهفةُ أمْ

والوردةُ هذي المجنونة فينا

بنتُ الشغفينْ

(3)

قبلة تنبتُ في شفاهي كلّما قالت:

«حبيبَ القلبْ»

تدفّقُ في عروقي نهر حبٌّ

شجري يصبحُ أعلى

ودفء أوصالى تجلّى

وتحيا في القصائد كلّ ألوان الطّربْ

كلّما نهضت من نومها

وشقّ الصّبح عن أحلامها

تكتنز اللّغاتُ بطعم جملتها

تكاثرُ في المدائنِ وحيَ ربٌّ

(4)

يا بنت ضوْءِ الهوى — الضّوء ملءُ يدي

فمرّري شفةً — في بحرها شفتي

وقبّليني على — جوع الهوى وَلِهاً

يحيَ الموات الّذي — يجتاح لي جسدي

ولتزرعي لغتي — حرفاً وأغنيةً

كيما تقوم على — أركانها لغتي

هات الصّبابةَ لا النْـ — ـنِسيان يعرفني

وليس يعرفني — من عُرفه جَلَدي

(5)

قبّليني كي أشعر أنّ هذا العالم حيٌّ

في الشّارعِ

في الشّاشاتِ

في كلّ مكان

بين حشود الآلاف من الفقراءْ

لتصير القُبلة قِبلة شعبْ

أيقونة حبٌّ

قبّليني كي ننهيَ عهداً «مفضوحاً» بالرايات وطعم الحربْ

وظّفي اللغة السرّيّة في هتافك ضدّ الأشباحِ الصفريّةِ

ضدّ الظلِّ وضدّ الموتِ

الموجِ

الليلْ

ضد ملوحةِ ماء العينْ

ضدّ اللغة الرسميّةْ

في أدب الهجرة والبيْنْ

قبّليني لندخل دون خناجرَ أو بنادقْ

أبواب «الواقع العِلْميّ» والعمليّ

هنا مع كلّ لفظةٍ في القصيدةِ قبّليني

لينبتَ في ثغرينا الوردْ

لتكون الثّورةُ طعم الحبِّ

وطعم الشعر وطعمَ السردْ

أيّتها القبلة في الثورة

في المرأةِ شهدٌ

وعدْ

خضّبي الأغاني بلثمِ الشفتينْ

فالأرضُ نشوى

والشهوة في سماء الغيم بدّلت حِرفتها

لتصبح قوّة ثوريّة عظمى

قبّليني كي أشعرَ أنّني قد صرتُ حيّاً

حرّاً

رجلا ثوريّاً

فالآتي ليس كضربة نردْ

(6)

قبّليني

لأشعر بالألفة بين الماء وبين النار

بين الطير وبين الصيّاد

بين الوحش الكاسر في الغابات وبين الناس

كي لا يؤذي الحجرُ الأعمى

أجساد الثمر الغضّةْ

قبّليني

كي تكبر الرأفة بين الدير وبين المسجدْ

بين القدّيس وبين الشيخ

بين التوراة وبين الإنجيل

قبّليني

كي أرتدّ إلى ديني الفطريّ الأوّلْ

قبل رجال الدّينِ

بنات الدّين

والأعياد الرّسميّة

قبّليني

كي أحفظ مفردات الله قبل ظهور الجنّةْ

والدركات السّفلى من نُزِل الجحيمْ

قبل أن تظهر في لغتي أسماء الطاغوت الإنسيّ الأحولْ

قبّليني

لأرى الله على امتداد بصيرة حيّةْ

تغمرني الرؤيا بنور الأنبياءْ

ويصيرَ الحبّ هو الأجملْ

(7)

قبّليني

ترتفعِ السارية ياردتين أخريينْ

تحيَ القبائل في سلامٍ ونِعَمْ

قبّليني

لتقبلني الحرّيّة الحرّى

وتُروى في ابتهالاتِ العَلَمْ

ينموَ في راحتيّ حقل من زهور الفلّ والنسرين

يرقصَ في شفتيّ النغمْ

قبّليني

لأكتب أكثرْ

يطوفُ بنا النشيد فماً لفمْ

قبّليني

كلّما اشتقتِ إلى محو الخطايا والندمْ

يبتعد الغول عن قمر الحكايا

ليطهُر في الشريان دمْ

قبّليني

بشرعة عيسى وأحمدْ

لينهض كلّ شيءٍ من عدمْ.

(8)

قبّليني

كي يموت البرامكةُ الدخلاء في باب المدينةْ

ويرتاح الصراع من أبّهة الدخان

وتعود الأبجديّة طفلة تضحك دون تجنيس من الفقهاء الغارقين في بحر الدماءْ

وتظلّ الشمس قرصَ نارٍ في سماء الله تعطي الكلّ نورا وضياءْ

وطريقاً غير معوجٍّ بأوهام الرعاةِ الأشقياءْ

قبّليني

كي نطعم النيران تاريخاً طويلاً من حروب الدّين والدّنيا

ونفهم جيّداً أنّ الحياة «كبدْ»

تَمَرَّغُ في وحول الاشتهاءْ

كي يفهم الشّيطانُ أنّ لعبته رمز هبائيٌّ غنيّ في دلالات الهراءْ

واقلبي التّاريخَ؛ علّ هذا الكون يهدأ ثانيتين قدر مذاق قبلةْ

قبّليني

كلّ صبح قبلتين بفكرتينْ

وفي المساءِ استعيديني بواحدة أخرى على مهْلٍ

لأدرك دفء دمكْ

يسري في دم الأزهار يزهرُ في دمي

قبّليني

كي أفهم أنّ الثّورة ليست مؤنّثة فقطْ

أو أنّها مؤقّتةٌ على مزاجِ الخبراءْ

كي أفهم أنّ هذا الفكر طاغوتٌ يعود إذا ما لبسنا الظّلّْ

وناجينا السّماءْ

(9)

قبّليني

كي أدرك طعم الشّفة الحلوةْ

كي أستقبل هذا المجاز بضحكةٍ بريّة خَضْرا

فأنا ما زلتُ أبحث في العنوان عن المدلول

في اللّفظ النّاعم كي يُقْرا

قبّليني

يحملْني المجهول إلى المعلوم

يفكّكني المعنى

ينحلّ الغامضُ في قلبي

والواضح معنىً لن يُنسى

قبّليني

كي أتحاشى العبث الكلبيّ

المخفيّ

العلنيْ

وأشدّ لجام اللّاوعيْ

والقلبَ العابر إذ صلّى

قبّليني

نسائم صبح تلهو بخصلة شقرا

(10)

قبّليني

كي تظلّ الخمرةُ في فمي

نشوةً لا تنتهي

يا بنت ضوء الهوى والشعلةِ الحرّةْ

القبلة فعلٌ ثوريّ

تظلُّ تزغردُ في الصورةْ

(11)

يا ليت لي قدرة الوحيِ كي أضمّكِ لي

أقبّلكِ دون خوف من حسيب أو رقيبْ

أفرغُ في دمي حرارة النشوة الظامئةْ

وأمدّ يدي دون تردّدٍ أحسّ فيك الوردة الهائمةْ

نسير في الطرقات بعفويّة العاطلين عن العمل

يا ليت أنّك ههنا

تشعر الوحدة بالأنس في وحدة التوأمةْ

نعدّ الصباح بغنوة حلوةْ

لا تتركين البيت هذا اليوم

نزرع في حديقتنا زهرتين وفُلّتينِ بقلبِ غيمةْ

وتنظرين إليّ بضحكة الطّفلةْ

هناكَ فقطْ ستنتصرُ اللغاتُ

وتسمو

بنا تتفتّتُ العزلةُ

يَصْنَعُني الخلودُ

(1)

وأنتِ تعدّين جلسة القهوة هذا الصباحْ

وترشفين بلطفٍ شفاه الوقت في الفنجان

وتقبلين على الحياة بقلبٍ أبيضَ

زهرة فُلّ

دوّني على جدارٍ لا يموتْ

بضع كلماتٍ تومئ لي

وتقول:

«إنّني كنتُ هنا»

(2)

اهزمي الموتَ بالحبّ والشعرِ والمشي تحت المطرْ

لعلّني أنبتُ مثل تلك الشجرةْ

في مَراح البساتينْ

أنا إنْ كتبتكِ لا أهرمُ

لا أموتْ

لا يهزمني الوقتُ والحزنُ والطاعونُ الطاغوتُ والجبروتْ

سأظلّني ثمراً غنائيّاً في قلوب العصافيرْ

(3)

طفلة ظَلّي كما كنتِ

أعيدي الأغنياتِ

ارقصي مع طيفيَ المرسوم في النصّ الأخير من الحكايةْ

اشبعي منّي على مهلٍ وغذّي الوحيَ بي

أعدّيني شراباً نخبويّاً في سهرة القمر الطويلةْ

تزيّني باللون الفاتح الشفّافْ

لأراك زهرة لوزٍ تضحك نصف ثغرْ

هناك أنا سأكونْ

أرشف نصف ثغركْ

على نار الكتابةِ يرفعني الخلودُ إلى شفاهكِ

بيتَ شعرٍ لا يموتُ

الحبّ ليسَ هذا الذي في القصيدة

(1)

يا حبّة القلب الشهيّة قرّبي شفتي إلى شفتكْ

تذوّقي لغتي وغنّي لي

واعجني جُملي برضاب شهدك

يا حَبّتي وحبيبتي عرّفي شغفي إلى معارج عشقك

هناك الغيمُ يعصرني كؤوساً

تشتهيك ثمالةٌ من طعم ثغركْ

(2)

أتجدّد في نهرك الرّقراق مثل قطرةْ

فهلّا جريت في دمي كشهوةٍ مستفيضة؟

أحبّكِ أيّتها السّائلةُ المرأةُ المرآةْ

أرى نفسي

أذوبُ في شفتيكِ قبلةً من وجعْ

يمسّني جلدُكِ الشّفّافُ

عطرُكِ اللّانهائيّ يحيي شهقتي على بتلات وردكْ

(3)

قلبكِ هذا الذي يوزّعني على الأبوابِ والإيقاع

يُوقعني فيكِ بغتةً

أطيرُ مثل يمامةٍ لأحطّ مهووساً على نهديكِ

تشاكسني الحلمتانِ

لكي أقيس براعم الزهرتين في شرفة الجسد المعزّز بانتباه الإصبعينْ

يا وردة حملت لي الأغنيات إلى اللهِ سطور الأساطير الغنيّة بالمعاني

واهتزّت على الأغصان

وتساقطت على تربي محاراتِ مجازٍ وصُدْفةَ ميعادْ

يا وردة حلمت بي كلّ ليل ضاءه شوق القصيدة في عراء الاغتراب عن الطريق هناكْ

أرجعيني مع دليلي لأدخل في اعتدالي من جديدْ

(4)

كلّ ذاك السِّوَى ليس سَوِيّاً محض شخصٍ منتهكْ

وحدكِ من تعلو إلى عليائها وأنا الصاعد في ألقٍ إليكِ

أناجي النّجيّ وأرنو

كلّما ناجى حبيبٌ غَيْبه في عتمة الوقت ورقٌّ

كلّك لي

وأدرك أنْ لا شيء لي منك غير غيمٍ وهواءٍ

وسماءٍ وسناءٍ وفضاءِ وورقْ

أيّتها المغسولة بالنّدى الورديِّ

جملةً سهلةً في نصّنا الأصعبِ ذاكْ

هيّا نستردَّ لغاتِنا

لنقيمَ أعراساً على شَهَواتنا

لا شيء فينا جائعٌ غير [إنْ، كأنْ، وحتّاكِ]، و|فاءٌ| مشتركْ!

أيّتها الممشوقة مثلَ الظلّْ

وادعةً كطفلْ

شاسعةً مثل امتداد الفلكْ

تأويليّةُ المعنى عليّ

مطلقة كألوان الشّفقْ

أيّها اللّيلكُ كنّا كي نفيء اللّيلَ لكْ

(5)

الحبّ ليس قصائدُ للقرّاءْ

أو تسالي العابرين إلى النهرِ

أو كلامٌ عبثيٌّ يقال كلّما هبّ اشتياق أو شبقْ

ليس فائضاً لغويّاً لامتلاء الوقت بالألفاظْ

أو شهوةً علنيّةً تُقضى على سرير الشاعرين بلذّة طائشةْ

الحبُّ ليس رصاصةً لاصطياد فريسةٍ طائرةْ

الحبُّ ترنيمةٌ

حرزٌ أزرقٌ يعلّقه الفتى على صدر الحبيبةِ كلّما انتشيا بدفءِ دمْ

الحبّ بخلٌ على ألّا تموت الغيمة في بوار البحث عن سماء الاحتماءِ من الوهمْ

الحبّ أن تظلّ اللفظةُ بين الشفاه تحرسها الجملة من ارتطام الندمْ

الحبّ ألّا تفسّر شيئاً من المعقول والمجهولْ

فالحبّ إعجازٌ إلهيٌّ كما القرآنْ

(6)

«الضربُ» لا ينفع في الحبّ

فالقبلة كلّما مارستها شكلها مختلفٌ

مدّتها مختلفةْ

طعمها لاذعٌ ولطيفٌ كلّما أطبقتِ الشفاهُ

أتت بشكلها المولود ساعتئذْ

وتُنسي القبلةُ القبلةْ

كلّ ما في الحبّ فلسفة وأفعالٌ فريدة

الحبّ لا يدخل لعبة التكرارْ

لا يعرف العدّ والأرقام والآلة الحاسبةْ

مختلفٌ في كلّ ثانية ولهفةْ

حتّى النظرةُ لا تعرف كيف أضاعت نفسَها في نفسِها

ترى الشيء مختلفاً واللون مختلفاً

والوجهَ والنهدَ والردفينِ والضحكةْ

والضجعةَ الفاتنة

والجسمَ

امتدادَ المتنِ

حجمَ الطير مبتلّاً في المياه الدافئةْ

تلك الرائحة المجنونة نهرٌ لا يعود إلى الوراء

العبرة في الحبّ انفتاح المطلقِ الأبديِّ

موائدُ الحبّ فرائدُ اللحظةْ

فأوْلِمْ فرائدكَ الشهيّة تأتدمْ فيك الحياة الكاملةْ

فالحبّ ليس هذا الذي في القصيدةْ

(7)

يا لهذا الجمال الذي يحرّكني إليكِ هذا النهارْ

يا لهذا الانبهارْ

نهداكِ كلّما اهتزّا بجذعك ساومتني الحلمتانِ

بألف كأسٍ

وحمحمتيْ حصانْ

كأنْ فيهما خمراً وأغنية ولحناً وابتكارْ

فتحرّكي لغةً على صدري

وتبرّجي على شفتي لبلابةً أو وردةً

بيتاً من الشعرِ

أنداءً من الأزهارْ

يا كُوّة الشعر الإلهيّ فيضي تسكرِ الأنهار في هذا المدارْ

يا قوّة الحجر المقدّس في الأساطيرِ

استعدّي، واستبدّي

يا حلوة القدّ اللُّدينيِّ تعالَيْ

كي تكبر الأشياء في ظلّي ويكتملَ المدارْ

يا طفلة الحظّ

انزعي ورقي النديّ بخفةٍ ومهارة في الاستدارْ

كزهرةٍ من أقحوانٍ ناضجٍ

أو ورقةٍ مخضرةٍ من غارْ

وغرّدي على غصني القريب من اللهِ

كناراً ذاب في قلب الكنارْ

(8)

هذه المرأة التي لا تحدُّ

والتي لا تُردُّ

هذه المرأة التي أزهرت في كلّ زهرٍ تُعدُّ

هذه المرأة حربٌ وانتصارٌ وانهزامٌ

بعدُ مجدُ

هذه المرأة «لغزٌ طوطميٌّ» واعتقادٌ ثَمّ وِرْدُ

هذه المرأة وقت أزليٌّ

ومكانٌ أبديّ

واضطرام الموجِ مدُّ

بل إنّها مزج خمر تعتّقَ

قل وشَهْدُ

هذه المرأة نجم لغويٌّ سار في الأفلاكِ

سَرْدُ

(9)

ساقانِ جالبتان رؤيا الشّهوةِ

قبل المنام بلحظةِ

تتمدّدان ناعمتان وتبرقانْ

وتأخذان شكل نهرين تفرّعا لبحيرةِ

وترسمان عناية عفويّةً دلتا مساحتها

تؤلّه كلّ شكلٍ هندسيّ القسمةِ

ساقانِ:

واقفة إحداهما كمثلّثٍ، أعلاه مثلُ الشّرفةِ

تطلّ منه على النّهار بمسرحٍ

حوراءُ عينِ النّظرةِ

ويمين ساقيها انفراجٌ وابيضاضٌ وانسكابُ الضّوءْ

يحتلّ رؤيا العينِ

يهدي السّماء ضلالها

تصحو الشّياطين على أفيائه

وتقوم صرعى جوقة على تأوّه سجدةٍ في عمق تلك الوردةِ

ساقان ينتقمان منّي كلّما أنعمتُ في نظري

وأبحر في تراتيل الغوايةِ خاشعاً أعلو عليّ

بجسمها المنضودِ

بحرٌ تلاطمَ في غياب الرّأفةِ

فصولٌ من شهوةٍ طازجة

الافتتاحية:

«أصبحتُ مشتاقاً لكلّ شَيْءٍ فيكِ، فهلّا أتيتِ لنكتملَ؛ غارقاً فيكِ عازفة عليّ؟»

يتبادلان قبلةً كلّ صباحْ

ويقترحانِ وردةً في السّريرْ

يبتسمُ النّهارُ

يستمتعانِ بكأس شايٍ، فنجانِ بُنٍ

وينطلقانِ نحو تجاعيد العملْ

يكون الوقتُ مرَّ بينهما دون أن يهذي

والمكانُ غايةً في السُّرورْ

تتصادفُ الأشياءُ كي تضحكَ أيضاً

العاملون على الّطرقاتِ

في المقهى

وفي سيّارة الأجرةْ

والمرهقون من تعب الهواجس في اللّيلِ

يُرهفون السّمع... يخلعون أغشية الغبارْ

هنا طيرٌ يسبّحُ

غصنٌ تماوجَ دون خوفْ

طفلٌ يقفز خلف ظلّهْ

والشّمس في عليائها ابتسمت

لتأخذ زينة ربّها لهذا الفرْحِ

هذا النّهارُ سعيدٌ

ظلّ طول الوقت يرقصُ

لا يملّ ولا يخافْ

عادا على موجٍ ليحتدما هنالك في السُّرورِ

يكتملانِ بدايةٌ وختامْ

هل كان ذاك الأمر محض شَيْءٍ عابرٍ مرّ برقاً ثم نامْ؟

الأوّل:

أكثر ما يثير شهيّتي

ورودك في القصيدة مثل شعلةْ

ترقصين مثل أفعى في دوائر اللّهبِ الأرجوانيّ

يسقط ظلّك الأبيضُ المحمّرُ في سوادي المحترقْ

ظلّان هنا على جدارٍ واحدٍ أملسَ يشبه شيئاً من عريكِ الضّوئيِّ

يغرق في «عسلٍ مصفّى»

مساحة أخرى لأنبت في جدارك

أظلّ ظلّاً طالما كنتِ شمعة تتكورين على جسدي المليء بالأعشابْ

يزغردُ ماؤكِ اللّاذعُ في شهوتكْ

ترقصُ أو تقرفصُ

ترفضُ أن تهدأ قبل أن تقتصَّ من شجري

أنظر نحو ظلّي لا شيء غيري وغيركْ

كلّ شيءٍ واضحٌ فينا مثل الحريق المتوّجِ

بالتحام العروة الوثقى باكتمال شهيّتكْ

أكثر ما يثير الشّهوة حرفان لي

ومعي

حرفان ممتنعان في جسدكْ

معبرُ الرّوح نحو جنّتنا المشتهاةْ

الثاني:

أذهب للبحرِ

حيث بقايا خطوتين لها محفورتين في رمال الشّاطئ الغربيِّ عند الصّخرة العليا

يلامس راحتيَّ الموجُ

يسألُ عن وجهها الذّائبِ في السّحاب الذّاهلِ في درَج السّماءْ

يخرخِشُ في أذنيّ الأثيرُ

أسمعُ من بعيدِ الغيب صوتاً قادماً من لمسة متروكة على شفتي

تبرعمُ الكلماتُ أسئلةً على وجهي

كلّما أعطيت وجهي للمرايا

تنبت لي في الهوامش موجةٌ، سيلُ ضوءٍ، موجتانْ

يبتسم البحر خفيفاً

وتفترُّ الشّواطئُ عن طيفها الشّفافْ

تخرجُ من عمق عمقي إلى ما بين يديَّ تطير بي

لموائد الحبّ الشّهيّة حيث تلتئمُ الشّفاه كحرفِ باءْ

الثّالث:

في الشارعِ المُنحني

عند النّاصية البعيدة من طرف الغروب الضّبابيِّ

ولّدْتِ وقعَ الخطى

في المدى

وانتشرتِ غبارَ رجرجة الصّدى

لملمتُ ما تيسّر منّي

ركنتُ في الكهف أحرس العتمةَ كلّما نشبت على بابي أيادي الشّمس

يغمرني الصّراع الدّاخليّ عليّ

ويستولي على زمني، وأحداثي وغرغرة البطولة في القصصِ الطّويلةْ

أنادي في الفراغْ

متراكمٌ بعضي على بعضي فوق أبعاض الخرابْ

دخاناً ضائعاً أصبحتُ في المتن الرّوائيّ الحديثْ

تبعثرني الرّؤى وتقضم مشهدين على باب الظّلامْ

الرّابع:

تحمل السّرّ وتلهو بي

تشرب النّخب المسائيّ

وتستلقي على الشّاطئِ الأيسرِ منّي

تعالج بعض أمر من طفوليٍّ غبيٍّ ساقني قدري إليهْ

تدرج في مياه البحرِ

تكشف عن مرمرِ السّاقِ

تومئُ لي: تعالْ

يلمعُ الماءُ الذّكوريُّ على صفحته المشاغبةِ

يحاولها فيدفعها إليّ

تجحظ كل عينٍ في الفراغ

تزفر غضبةً حرّى فيضرب موجُه الصّخرَ

ويبكيان معاً

الخامس:

تتذكّرُ أنّني ما زلت الطُّفوليَّ السّفيهْ

تكمل رحلتها في المدّ والجزر

تعالجني أمٌّ كلثوم بتضليلٍ «خفيف الدّمْ»

يجتاحني شيءٌ غريبٌ من وجعٍ في الروحِ، في القلبِ، في الخاصرةْ

تستوقفني في الحلقِ جملةٌ في «الحبّ كلّه»

أتنصّل من عروقي وأكتب نصّاً رديئاً يشبه اللّحظة العابرةْ

وأتابع القرّاء لعلّهم يستحضرونَ براءتي

أو...

بساطتي

أو...

سذاجتي

أو...

سماجتي

أو...

لعلّهم يبتكرونني من جديد

أو...

لعلّهم لا يحفلون بي من قريب أو بعيدْ

أو...

أنّهم يختمرون فيّ على وقعٍ مريبْ

أو...

وكأنّهم مرضى بوقتي؛ كلّما انتفخ الوريدُ منَ الوريدْ

يا ليتهم مثلي، ومثل سذاجتي، لا يعلمونْ

مات النّشيدُ منتظراً حناجر منشديهْ

تكسّرت فيّ المشاهد كلّها على وقعِ القصيدةِ في دماء العاشقينْ

واحتفى فيّ البرودْ

السادس:

يا بحرُ لطفك

ضمني، واغسل الحبوة منّي

لا تدلّلني يا بحر أكثرْ

شهوتي بَحْرِيّة تأخذ شكل انعكاس الغيم في جسد الحبيبةِ حيثُ هِيْ

قد سئمتُ اليوم شكل الغيمِ، انتظاري، واشتياقي، وابتهالي، والجنونْ

هل تخذتَ اليوم شيئا غير ماءِ البحر منّي؟

خذْ ولا تبرحْ

وعذّبني بلا حدّ على حدّ الأصيلْ

لعلّ الصّرخة الطّولى تهزّ الهزّة العظمى

لأصرخ بالتّعبْ

تعيدُ الشّهوةَ الحرّى فأسترخي على كلّي

وأحيا بالغرقْ

المسُّ الجنونيُّ للمعنى الدّقيقِ منَ الكتابة

(1)

صباح الخير أيّتها اللّغةْ

أيّتها المنشورة جملة على شفة الشّمس

المسموعة إيقاعاً في هديل الحمامْ

في صوت عصفور تقافز ينقر حبّة تينٍ طازجة في حقلة البيتْ

أيّتها العامرة بالتّفاصيل الطّويلة في بلاد مُرْهَقَةٍ بها

تناضل أن يظلّ العيد عيداً والطّفل يلبس حلّته الجديدةْ

أيّتها المبتسمةُ السّاخرة في وجه العتاة الطغاة من الجُناةْ

أيّتها السّاحرة المتمرّدةْ

الخفيفة الظّلّ على شجر التّوت والبلّوط والزّيتون والرّمّان والقُنْديل والزّعترْ

صباح الخير والأقداحْ

وشعرٍ للهوى يشرحْ

صباح الحبّ موسيقى على درب الحياة

أيّتها اللّغة الّتي كانت

ستبقى حرّة

تخرج من معاجمها امرأةً ولوداً تصنع فرحة في كلّ عيدٍ وصباحْ

توزّع لحنها في جملةِ الدّفترْ

أطفالها يتراقصون في الطّرقات وينشدون:

«حيّ على الفرَحْ»

(2)

أنا الرّاء الّتي تُحدث الفرق الجنونيّ

لتفترق الحرب عن الحبُّ

لا أشتهي فيكِ الخصام

أشتهي رشّ عطر الياسمين على جذوعكْ

أتسلّق أيمنكِ العرفجيّ

أشعل أيسركِ العاطلَ من حمّالة الصّدرِ

أفتح ثغرة في السدُّ

تغلغلها الألف الطليقة

وأحضن مثل زرّ الورد وردتكِ اللّطيفة

وأمطر مثل غيم الله ماءً كوثريَّ الطّعم في أرض شفيفة

وأكتب أسفل النّهدين تحت السُّرة السّراءِ

آياتِي الطّريفة

(3)

الضّدّ ضدّكَ شعلتان شهيّتان

وشهوتان شقيّتان

ووردتان غريقتان في ذات الأوان

وجملتان هاربتان من وحي السّماء

على شفاهك نبتتان

تُحدّثان وتُحْدِثانْ

تجمعان وتَأْلفانْ

تؤلّفان حكاية أخرى قوام قوامها حرفانِ

أغنيتانْ

وغيمتان شجيّتانْ

كونان في البعد إلّا أنّنا ألف ترعرعها اليدانْ

(4)

النّصّ لا يُقيّم «جيّداً» أو «رديئاً» بين الحبيبة والحبيبْ

ولا يقال له: «جميلْ»

النّصّ يَصنع قُبلة محرومة في يوم عيدْ

تعويذةٌ أخرى معلّقة على صدر الجُمَلْ

تحمي من الانهيار المدوّي في سأمِ الخللْ

النّصّ قطعة روحٍ

غيمة وضمادة الوجع الطويلْ

والنّصّ لا يُعلي من المعنى الإضافيّ شيئاً

إلّا أنّه ليلكةٌ تزغردُ في شفاه العاشقينْ

(5)

قلقٌ جدّاً من المعنى

من الفوضى

تراوغني القصيدة؛ كلّما أمسكت تأويلاً هدّمه المجازْ

أصبحت بين صراعيْ بؤرةٍ في النّصِّ

تأخذني نحو منصّة الجمهور

سؤالي يسبق المعنى

ويمحو الشكُّ أضواءَ اليقين

قلق جدّاً على قلقي الوجوديِّ في هذا السّياق المعبّأ باللّغةْ

صوري يشكّلها الغموضُ الطّبيعيّ

والقارئُ المسترخي على أريكته الآنَ يغضبُ من تلصّصِ المعنى على الشّرفاتْ

يعيدُ قراءتي والنّصّ

يقشّر جلدة اللّفظة الخارجيّةِ

يحقن الجملة بالمصل المناسب كي أتوه على الطّريق

لا يدركُ لعنة المسّ الجنونيّ للمعنى الدّقيق من الكتابةْ

لا يقلقُ مثلي من المعنى

من الفوضى

ولا ينضج في مجاز النّصّ مثلي

(6)

أنا لا أكتب ما أشاء

النّصّ يستولي عليّ

والفكرة الهوجاء مثل اللّصّ تدخل السّطرَ

بأعجوبة تقاومني لتوجد بين أصابعي

لا شيء لي أبدا

مجموعة الألفاظ تأتي من مكان لستُ منتبهاً إليهْ

تفتح معجمها وتكمش ألفاظها

الكتابة ضربة حظّ لغويّ

تولد فجأة وتموت بالتّدريج أحياناً

وأحيانا تنحلّ مثل حزب ميّت مختلفٍ عليهْ

أكره كلّ ما أولدته الصّدفةُ لي

أعلن أنّي بريءٌ ممّا فعلته بي

أتوارى خلف خلفي لأمسح هذا السّواد المعيبْ

يضحك النّصّ منّي يعاندني ويغيبْ

ويبقى ما كتبت شاهداً وشهيداً عليّ

تُلقي الصّدْفة اللّغويّة خنجرها على شفتيّ:

ما الفرق بين النّصّ واللّصّ غير حرف اللّام والنّون:

يتلصّص النّصّ على المعنى

وينصّ اللّصّ بعض المفردات

ويشرع في بناء شرائعه على كتفيّ غصباً عن كلّ ما عداه

النّصّ ليس لصّاً فقط

أكبر من حاكمٍ ملِكٍ وأعظم من وحيْ

لكنّه أيضاً أتفه من وهمٍ عابر في حياة المؤمنين

(7)

أحتاج كلّك في كلّي وأكثرْ

أحتاج كلّك إذ ينمو بكلّيَ يكبرْ

أحتاج حرفاً أوّلكِ الشّهيَّْ

تؤوّلني البقايا: الإسم والمعنى

تحمرّ السُّهى برقصتها وتخضرّ

أحتاجُ مرآك الـ (يمرّ) على مرآتيَ الحبلى

أراني عند كلّ غوايتينْ

أنبلَ أطهرْ

أحتاج أغنيتينِ أعبر فيهما عمري

فيرتدّ الشّباب إليّ مزهوّاً بطعم الحبّ

أبكرَ أنضرْ

أحتاجُ أبني خلايا الغيم في كُرّاستي

أصلّي

أوصل الأسماء نحو مرفئها

لأقرأ ما تيسّر من أناجيلي وتوراتي وقرآني

وأفلت من جاذبيّتي الطّينيّة الأولى

ليكون كلّك لي

لكلّك

للأكوان معبرْ

أحتاج كلّك كي أصفوَ أكثرْ

(8)

لن أقبّلك في الموضع الّذي قبّلك فيه رجلٌ آخرُ

قبلي

فليس لك إلّا نهدانِ شهيّانْ

وخدّانِ مورّدانْ

وشفتانِ اثنتان

فمٌ واحدٌ أزهريُّ اللّسانْ

وتفّاحة واحدةْ

حتّى أنّه ليس لكِ إلّا جيدٌ واحدٌ في حديقة واحدة لا غير

ولن أجرّب رعشة مقسومة على رجلينْ

لكنّي سأكتب كلّ شيءٍ بيننا بقلبٍ أشعريّ

كأنّك لي وحدي

لا أعاني من بياضِ السّطرِ

أشواك الضّجرْ

فصباحٌ مفعم بكِ له مذاق الغيمِ في جسد القمرْ

سيناريوهات للمشهدِ الواقعيّ

(1)

يتدلّى من هذي الأغصانِ تحتَ الماءِ الأبيضِ

فوقَ الأرضِ،

حلماتُ نهدْ

رؤوسُ العاشقينَ مرفوعةٌ تشربُ كأس وَرْدْ

الشّعراء يمتقعون في طرف المجازِ

يمضغون بلا شهوةٍ جلد توريةٍ حمقاءْ

وتحكّ الاستعارةُ شَعر عانتها

يتثاقلُ الإيقاعْ

واللّحنُ يصابُ بالبُحّةِ الجارحةْ

يحوز المشهدَ الواقعيَّ شهدٌ سردْ

(2)

رأسي واسمك متأرجحانْ

كالسّطر الواحد في مغامرة الذّئب في القصّة البائسةْ

هذا النّعاسُ الجريء يفرّق بين يدي وخصلة شعركِ النّاعمةْ

كلّ شيءٍ ينزع نحو خاصرة البدايةْ

والنّهاية مائعة جدّاً

تغري النّقاد بالثّرثرة الطّويلةْ

لا تغرِفي إلّا غُرْفة واحدة لقصّتنا الوحيدةْ

نبعنا الأوّلُ طينيٌّ كَدِرٌ وَشِلٌ وحارّ

هدوؤك جارحٌ كجرحي الهادئِ

لا فرق بينهما سوى في تعادل الثّورانِ عند الحافّةِ

الحاقّةِ

القارعةِ القلبَ بالنّار والاضطرامْ

حلّقي وامنعي رأسي واسمك المتأرجحين من السّقوط في الهاويةْ

ولتأكلِ الأسطورةُ هذي القصائدَ في فم الزّمنِ المؤدلج باللّا حُبّ

(3)

للفقر محاسنُ جمّةٌ

لا تشرب الخمرَ كي لا تصاب بتشمُّع الكبدْ

ولا تواعد النّساء في حفلة البار

فترقص عارياً هناكْ

ولا تلعب مع اللّصوص الأثرياء القمارَ

فيطلقون عليك النّارَ في لحظةِ حربٍ همجيّة

لكنّما للفقر سيّئةٌ واحدةٌ فقط

أنّك لا تستطيع السّفرْ

لترى الشّفاه الشّاعرة وهي تلعب في دماكَ الفائرةْ

يا للفقر ما ألذّهُ!

لولا جنايته الوحيدة تلك

(4)

كم تبدو مشغولةً الآنْ

تُعِدّ على مهلٍ أصابعها

لتكتب: «كم أحبّك أيُّها الشِّعر الجنونيّ الجميلْ»

تَجْمّعَ حولها نحلٌ،

ملائكةٌ

وأغصانُ القصيدةِ أضواءُ الفضاءِ

تغنّي بحنجرة وموسيقى

تذيب الصّمت في تلك المرايا

والأعصاب في مرح ونشوى

تعود في أرضِ الحقول الشّاسعاتِ مدىً

حبّاً ووردةْ

(5)

متى ما يحمرُّ الوتدُ الفضيُّ

تنضجُ البتلاتُ في حوضِ ماءْ

ويبتلُّ الغمامُ بلونكِ الشّفّاف

ينتشي كلّ شيءٍ ههنا

يورقُ مثل حمحمة الصّهيلِ ويعدو

كلّما اشتدّ الوتدُ الفضيُّ التحم الصّوتُ بالصّمتِ

تولدُ شرنقةٌ أخرى محمّلة بالحياةْ

يضحكُ الزّهرُ

هفهفةُ النّسيمِ

ويثملُ في شفتينا الغناءُ الرّعويُّ المحمّلُ بالعاطفةِ العاصفةْ

وترضى الآلهة الشبقيّة عنّا في غمرةِ الحبِّ

تغمسُ فينا الجناحَ الأبيضَ الممتدّ

تزخرف جنّتها الموعودة

إذ نصلّي في رحاب اللهْ

أيّتها الأعالي:

ارفعي صلواتنا لمقام الحضرة العليا لنغرقَ أكثر

(6)

لمن تربّين الثّمار بتلك المحبرةْ؟

يبسَ القمرُ النّحيلُ على شجر اللّيلِ

وطالْ

وما من مفرّ إن لم تكوني الثّمرةْ

لا شيءَ هناكَ سوى انقلاب الكأسِ

عاصفة من الألوان في جسد السّماءْ

مدّ العتمة في العتمةْ

متعة مبتكرةْ

لمن تَحْمَرّ هناك تلك السّمكةْ؟

ولمن يشاكسُ نهدَك الموجوعَ وردُ الحلمةْ؟

ومن سيملك إذناً للدّخول إلى مسرحة النّصوص

بعنقِ الكلمةْ؟

ولمن سيرتفع النّهارُ ياردتين بعينِ اللؤلؤة؟

ولمن ستبتكر الشَّمس شعاعها الحيَّ

فتنمو الشّرنقةْ؟

لمن كلّ ذاك النّضجِ في الورقةْ؟

جفّ حبرُ الإصبعينِ على أنين واسعٍ

حلّ في الصوت صداهْ

فلتستبيحي منطقهْ

كيف تبدو كلّ حين في الشّفاهِ المسألةْ؟

جئتُ،

يدايَ علامتان حائرتان لتلك المعضلةْ

جئتُ كي أذهبَ لي

أين أجوبةُ اللّغةِ الشّقيّةِ يا جِراح الأسئلةْ؟

عمّقيني، علّقيني، غرغريني

مثل طعم الصّهلةِ الأولى على مرايا الأخيلةْ

كيف يلتقيانْ:

هذا المرّ في ولهي

مذاقُ السّرّ في لغتي؟

وقفتُ على باب الغيوبِ أطالع المعنى

نضجتُ بحرقة الثّمر الشّهيّ من ولعي

وأطلقتُ الذّهولَ سؤالاً أذهلهْ

(7)

اجعلي علاقاتكِ الأخرى سرّيّة عنّي تماماً

وتأمّليني في فضاء نظيف من رائحة الرّجال الآخرينْ

لا تقصصي الرّؤيا عليّ

حكايةَ الوشم أسفل الظّهر أو أعالي الكتفْ

أو ملمس الرّقصِ بعد منتصفِ النّشوةِ السّابعةْ

واتّقِي الحبّ فيَّ

لأستطيع التّحدث عنك بحرّيّة البحر والشّمس والموج والرّملِ وبهجة الشّاطئ

أستعيدَ شهوتكِ الطّريّة في غابةِ الصّنوبرِ والحورْ

واتّقي القصيدةَ فيْ

في جسدٍ مكثّفٍ بالمعاني

ليحسدني الشّعراءُ الكبارُ كلّما مَرّرْتِ على الهناكَ مفردتينِ شقراوينْ

حدّثيني عن براعة الياسمينِ النّقيّ الّذي يتسلّقُ أعمدة الرّخام المخمليّة

كيف يشتعل الرّخامُ بأخيلةِ السّرد في باطنِ الكفّ عند اللّقاء كنجمتينْ

لا تكتبي شيئاً إلّا على جذعي

واغرقي في طقس أوراقي

واحمليني إلى المجهولِ ينجُ الوقتُ من سأمي

واقرئي القصائدَ عنّي لسيّاح الدّولِ الغنيّةِ الباحثين عن دهشة الماءْ

شهوة ورديّة خضراءَ تُتلى في الأغاني الملحميّةْ

(8)

تعالَيْ واحملي قلبي كقصبة ناي

تعالَيْ واشرحي لغتي بحرفينِ

وانتشري هناك إلى هُناي

تعالَيْ وردة ريفيّة فرعاءَ هفهفها النّدى

كفّاي أو شفتايَ

أحلامي، نِدايْ

تعالَيْ تكبرِ الدّنيا على ولهي

وغنّي لي

فكلّ هذا الكون لي شغفٌ إلهيٌّ تراكص في رؤايْ

(9)

لانحناء الرّأس نحو اليسارْ

أغنية وقبلتان ووردةْ

لرشّة العطر في الصّدر والجيدِ

وشْمِ الذّراعينْ

ألفُ قصيدةٍ

نهرُ لحنٍ

وشهقتان ونجدةْ

للبسمة الخجلى الحيّية ألف عينٍ تهيمُ في الشّفتينْ

وألف كأس وشدّةْ

للقامة العليا ألف تشبيهٍ وتشبيهْ

ونهدتان تسكن نهدهْ

للوالهين الحيارى ألفٌ من الحسَراتْ

لعلّ هذا الفيضَ يَهْدا

(10)

المرأة مرآةٌ تحدّق بالوقتْ

لا تكترثْ

هي لستَ أنتْ

أو هي ليست لك

أنت سطحٌ معتمٌ في مقهىً بلا رُوّاد

المرأة مرآة تحدّث بالصّمتْ

تشعل في المكان وردتينِ

واحدة لظلّي

وتغرق الثّانية في كأس ماء الفيتامينْ

المرأة مرآةٌ

تقرأ ما كتبتُ وما طويتُ وما نشرتْ

ترفض التّأويل لي

واضحاً كنتُ

كشخص في عراء الموتْ

ينقذني رثائي أمام المرأة المرآةْ

ويكسرني الحبّ أكثرَ من أيّ وقتْ

(11)

ينتظر العالم شيئينْ:

حبّاً ينقذه من هذا التّيهْ

مطراً يغسله في النّشوة

في اكتمال النّشوتينْ

تنتظر اللّهفة حرفينْ

فائي وفاءك في التحام اللّهفتينْ

ينتظر الشّاعر زهرتين نديّتينْ

ترقصان على صدري

نابتتين في هذا اللّجينْ

ينتظر الصّباح هنا قافيتين

واحدة مشغولة بنا نحن الإثنينْ

والأخرى تكبرُ في حدْقة عَيْنْ

تنتظر الأكوان سحابتين

تفجّران النّهر أجوبةً لـ (أينْ)

ينتظر الحبّ آخر جملتينْ

أسطورتينِ بليغتينْ

تُودِعان السّرّ في براح الجنّتيْنْ

سطرين منك كبوح عطر الزّهرتينْ

تتعرّفان على يدي

شفتي

كلّما هام الهوى بلذيذ طعم القُبلتينْ

يا حلو ذيّاك الهوى

يضمّني دفء اليدين على اليدينْ

محاولة في التعليل

(1)

يثيرني في النساء صدورهنّ المكوّرةْ

وجوههنّ المدوّرةْ

شعورهنّ الشبيهة بيت شعرٍ غزليّ

بقافيةٍ مشفّرةْ

وجسم تزقزقُ في كتفيه العصافير

وتنقر الريح على قامته بشهوةٍ معطّرةْ

ويثيرني فيكِ رائحة النّدّ

ضوء الفجرِ

وحيُ اللهْ

جملة رمزيّة الإيقاعْ

خمريّةٌ مطهّرةْ

(2)

لأنّ النّساء جميلاتٌ

سيكون هناك أطفالٌ كثيرون في هذا العالم

ولأنّ الرّجال عطشى دائماً

سيهرقون ماءً كثيراً في أسرّة العشق المباحِ المباحْ

ولأنّ العمر قصير أكثر ممّا تظنّ آلهة الأسطورةِ

يولد كلّ ثانيتين زوجان خبيران في توزيع الحلوى في حفلات فضّ بكارة الشّهوة

ولأنّ الحياة، كما ترون، كائنٌ فوضويٌّ

سيرتّب الله طقوس الحبّ في أسفاره الأخرى

وتغدو الحياة اشتياقاً أبديّاً للخلود

ولأنّ الله الفاعل الكلّيّ «يخلُقُ ما يشاءُ ويختارْ»

يعطي الحياة مذاقها الحيويّ في كسرة خبزٍ وكأسٍ من نّبيذْ

تعود الضّحكة للزّهرة كلّ صباحٍ وتولد البهجةْ

ولأنّ اللّغة اختيار شفاهيّ

تملّ الكتابةَ أسرابُ العصافير

ولأنّ الشّعر اقتراحٌ جماليٌّ في ضباب عالميّ كثيفٍ

يكتب الشّعراء قصائدهم عناقيد صُوَرْ

ولأنّ السّرد مشيٌ وئيدٌ

تقتاتُ الشّخوص دماء الرّواة كي تنضجَ أكثرْ

ولأنّ اللّوحة تغرق في التّأمّل

تدفع الفنّان كي يُحيكَ الخيوط في بؤرة الضّوْءِ

«تسرّ النّاظرينَ» هناكْ

كلّما احتاجوا إلى رمزٍ شفيفٍ لمعنىً غائمٍ في اللّوْنْ

ولأنّ الجمال على هذه الأرض قدر إلهيّ لطيفْ

أصبحت كرويّةً تغنّي الظلالَ الظلالُ الدّائرةْ

(3)

وأفضلُ ما يمرُّ بي هذا النّهار

صديقٌ عزيزٌ يودعُ الكلماتِ جملتهُ

ويلقي زهرتيْنْ

وأفضلُ ما يقالُ

عند انتباه الفراشةِ أوّل صحوة الضّوءِ

حفيفٌ باسمٌ في شفتينْ

وأفضلُ ما يعومُ على الوجودِ

روائحُ العطرِ منتشراً

في مناحي وردتينِ كريمتينْ

وأفضلُ الفضلياتِ من كلّ أفضلَ

أنتِ

يتخلّقُ الحبّ المهيمنُ في اشتباكِ الرّاحتينْ

وأفضلُ ما يزرعانِ على ضفاف الوقتِ

خضراءَ الرّذاذِ

بضحكتينِ فريدتينْ

وأفضلُ ما يقولُ الشّعرَ عندئذٍ

قصيدةٌ فرعاءُ كاملةٌ

تشبّثُ في انسرابِ ضفيرتينْ

(4)

مضاجعةُ امرأة مشهورةٍ متعةٌ كمذاق النّبيذ

وحدك المالك سرّ التّفاصيل

امرأة لكْ

لا ينافسها عليك سواكْ

اسمها

ضوؤها

حرائق الأخبار في ملابسها

متعة كلّ هذي الحرب لك

سيّدة في فراشكَ

تمرّ عليك تأكل من ثمارك

تقطفها كحبّة كمثرى من شجرة ظلّ لأناسٍ كثيرين

تشربان وحدكما

تكتبان وحدكما

تدخّنان وحدكما

وتأتلقان مثل طعم سفرجلةْ

وتنموان كشمسٍ ضاحكةْ

تُبنى العجائب وحدها

كلما استنفرتْ رائحة الياسمين على صدرها

تشعران ساعتئذْ

أنّ الملايين من النّاسِ يخبّئون لكما الكثير من الحجارة

ويزرعون السّرد بالأكاذيبْ

ويدحرجون الثّلج كرات صخر على باب الرّوايةْ

والصّحف الصّفراء تكتب في باب الفضائح الأدبيّة:

«أضاءت نجمة أمس واغتسلت بحليب آلهة الأساطيرْ»

مضاجعة امرأة مشهورة نوع من الانتقام لسطوة الضّوءْ

وكسر إيقاع العناصر الأخرى

ارتباكٌ جنونيٌّ لبناء بيتٍ بنافذتين صغيرتينْ

في ساحةٍ عموميّةْ

شكل من الإيضاحِ كي تدخل في الحداثةْ

يتشاجرُ النّقاد في التّأويل عند تخيّل المشهدِ الرّمزيّ

والشّعراء يكثّفون الغيمةَ في جملتين يتيمتينْ

وبأنّ الضّوء السّماويَّ تحلّل في ابتهالات الغناء اللّيلكيّة

(5)

كم أنا فَرِحٌ بهدايا الله البسيطةِ لي

كأنْ تقولي على فترة من الوصلِ:

«عمت صباحا أو مساءً

أو كيف أنت اليومَ يا رَجُلي»

فرح جدّاً كأنّي أعتلى

يا إلهي

بعضَ ندىً

يا إلهي

شوق عينيّ إليها زاد من ولهي عليها

يا إلهي

قطعة من صوتها تكفي ليبتلّ صوتي

يا إلهي

ضحكة من عينها تكفي لتنبت زهرتان على شفتي

يا إلهي

لمعة من طيفها في غيهب العتمة تكفي لأكتب شهرا كاملا ديوان شعرْ

أمدح وهْج نور في ملامحها

يا إلهي

جائع لسرد قصتها مع نفسها عندما تخلو إلى دفترها

تكتب فيه لهفتها

يا إلهي

ما أحلى هداياكَ البسيطةَ يا إلهي

عجّل بها يا إلهي

واغفر شهوتي الحرّى لأذوب فيها

يا إلهي

يا إلهي

يوميّاتُ امرأةٍ شتائيّة

«إلى امرأةٍ ينهضُ الصّباحُ بين يديْها زهرةً»

(1)

اليومَ

وتحت الندفِ في المدينة الشاعرةْ

بكتِ الخطوة كسلى

ولجّت في الحنينْ

دارت حول موطئها

ولم تنظر إلى شيءٍ جديدْ

***

اليومَ

قامت ساعتي ترعشُ بين أقواس الحذرْ

تُلقي السؤالَ على السؤالْ

تعتلّ اثنتا عشْرة عيناً في الهواء

تحدّق فيها

ولم تخطُ إلى معنىً جديدْ

***

اليومَ

لا شعرٌ سينفع كاتبيه وقارئيه

وليس يصعد نحو القافية

حرفان من ماء وطينْ

وتحترق الجملة من تلقاء لفظتها الأخيرةْ

وتصمّ قرقعة المغنّين الكسالى عن البيت الجديدْ

***

اليومَ

ليس هناك رسالة منها سوى

سطرين عاديّين

مسترقين في وقت قصير الظلّْ

ولم تجد القواميس الثريّة لفظها وتمنّعت عن اللفظ الجديدْ

(2)

تقلقني

كتلك الجملة الّــ مَرّتْ

وتوقفني على حدسينِ

مندهشاً

كما تبغي

وترسم في مَكْر واضحٍ نجماً وشمسْ

أقول لها: كوني كذبة شفّافة بيضاءَ

تأخذني بعيداً عن مجاز الآنْ

أقول لها: لا تكذبي مثل باقي الشعراءْ

فتأخذني إلى حَرْفيّة المعنى

وتكذبْ

(3)

شهرزادُ يراعُ المحبرةْ

ترتق ألفاظَ الغلاف الخارجيِّ لوحيِ نصّ

تعلّقُ الكلماتِ أثماراً على شفتيَّ

تزهرُ

في راحتيها لحن همسْ

مختالة مثل الضياءْ

مثل خطو الكبرياءْ

تحرسُ الأحلام في ولهِ الدّماءِ مع الدماءْ

ترتديني فكرة عليا

نغنّي في اتّحادٍ حُلْوَ جِرْسْ

(4)

أغمضتُ عيني

أردّ بعضي نحو بعضي

أصلّي على أطرافكِ الملأى بذاتي

أراكِ نبيّةً

تشعلُ البخور في رؤيا الصَّلاةِ

أغمضتُ عيني

كي أراكِ هناكَ نور ملائكةْ

ولحن عطر قرنفلةْ

أشربُ من راحتيكِ ملذّتي المترائيةْ

أغمضتُ عيني

أشرقتِ فيّ إلهةً متساميةْ

(5)

أستعمل معها الكناية كي أواريَ ما تعرّق من عروقي السائلةْ

أكتبُ شيئاً سريعاً كي أوثّق ضوءها المنساب في ذاكرتي

ولا أمضي لشيء غيرها

هل أهاتفها؟

وهل ستأتي مثل موج الصوت كركرة العذوبة في غدير الماءْ؟

(6)

تذكرت للتوّ «حبيبتي تنهض من نومها»

ماذا ستفعل بعد ليلة عنيفة معي

ورقصة (سامبا) سريريّة ممتدّة حتّى بزوغ الضوء في أوصالنا؟

ربّما جاءت إليَّ ثانية تحمل نفسها لنغسل ما تبقى من غرابتنا

وربّما تمطّت في السرير قليلاً وهْي تخاف على نفسها من برد كانون الصباحيِّ العنيف من بعد ما هطلت من الدفء في قلب السرير

ها هي الآنَ معي

تنتصب بقامتها المخضرّة التفاحْ

تتهادى كحوريّة

تسكب في جسدي أبيض عطرها الشفّافْ

وتحمل الصبح المعنبر في قَدَحٍ من السكّر

(7)

وتفجّري مثل النّهَرْ

حبّاً وشعراً ومـطرْ

فيضي عليَّ شهيّة

وبهيّــة في كلّ أمرْ

دفئي ومائي والهوى

تجري إلى ذاك المقرّ

جِنّي بحبّي وانتشي

جسداً ربيعيّاً قمرْ

(8)

أريد امرأة تأكل من رغيفي الشعرَ،

تشرب من نبيذي اللحنَ،

تذوب فيّ كلّما هلّت قصيدة لتأخذ زينتها عند كلّ غوايةٍ

ووحيِ جمالْ

أريد امرأة في متناول كلّ وقتٍ عطرا وماءْ

حياة ولوناً وحرّيّة

أريد امرأة ترسمني كما ترسم نفسها في المرآةْ

فتأتيني شهيّة تسبح فيّ كأنّني البحرُ

وأسبح فيها كالسحابة في المطرْ

وتبقى فيّ شهوتها تزغرد في الوترْ

أريد امرأة تقشّر كلّ شيء بيننا ليصبح أنقى من زوائده

امرأة تحبّني كالحياة

تصنع الاستطاعة والقدرْ

أريد امرأة هي أنتِ...

(9)

على إثر جلستها الطويلة تلك

عاشقة كانت تربّي بين عينيها اليمامْ

تقطّف ما تدانى من أنوثتها

وتحرس المعنى سوى دمع شفيف فرّ دونما حذرٍ

وأشبعت حدّ الثمالة ما توارى من بُنيّات الكلامْ

سيّدة للوقتِ، سيّدة لبهرجة المكانْ

تضوّعت، شعّت

تَجدّدُ

اكتملت كطير من ضياءٍ

معزوفة وعازفة أناملها كألحان الكمانْ

أناملي على راحتها بيت شعر

وراحتها ابتداء واشتعال واختمار الهذيان

(10)

هِيَ حَبَّةُ الْكَرَزِ الشَّهِيَّةِ

في الشِّفاهِ

تحوز مِنْ بَسَماتِها

الطعْم اللذيذْ

هِيَ ما تَكَوَّرَ في الْأَقاحي

وَما تَعَتَّقَ مِنْ نَبيذْ

هِيَ حُرْقَةُ الشَّوْقِ الْمُميتِ

كَلَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهي

«القلبُ» الْحَنيذْ

يومٌ في حياة امرأة

الثامنةُ صباحاً:

تصحو صباحاً في هذي الساعةِ بالضّبطْ

يغسلُ الماءُ نفسَه فيها

تعدّ شطيرةً عجلى

ويشرب الفنجانُ قهوتَها برشفةِ ريقِها

وربّما قرأتْ قليلاً رسائلَ الأصدقاءِ

أو ردّت سريعاً

التاسعةُ وخمسٌ وأربعونَ دقيقةً:

ترتّب نفسها

وتزهو بانتظامِ لباسها

أناقتها الشّموليّةْ

قليلٌ من المكياجِ و(البرفانْ)

وتنظرُ للمرآةِ

تحملُ عطرها وتغادرُ

وكلّ شَيْءٍ مكتملْ

العاشرةُ صباحاً:

لا زحمةٌ في السير في هذي المدينةْ

سلاسةٌ ونظامْ

أخذتْ تراجعُ جدولَ الأعمالْ

تطمئنُّ على حضورِ العاملاتْ

يغرقنْ في عمل الجمالْ

في صنعِ الأناقةِ

تبقى تتابع كلّ شيءْ

إلى الحدّ المقرّر في الدّوامْ

لا شيءَ يزعجُها هذا النّهارْ

كلّ شَيْءٍ سار مثلما يَجِبُ

السادسةُ مساءً:

بعض أعمالٍ هناكْ

أمسيةٌ شعريّةٌ أو حفلُ توقيعِ كتابْ

زيارةٌ خاطفةٌ وبعضُ حديثٍ في الثّقافةْ

تُبادِلُ الأفكارَ مع فلاسفةٍ هناكَ أتَوْا ليرتّبوا العالمْ

تأخذ ما تريد من الغواية والجمال وتنتشي

يربّت وحيها على خطواتِ مسرحِها

وتدرُجُ في ثَباتْ

التاسعةُ مساءً:

غالباً ما تستريحُ على الأريكةِ في البيتْ

تتناولُ ما تيسّر من طعامْ

تراجعُ كلَّ ما تمّ لساعةٍ متأخِّرةْ

ربّما كتبت قصيدةً أو قصّةً أوْ فيضَ خاطرةٍ

أو رأياً سياسيّاً

وترى الحقيقة مثلما تبغي تماماً

تؤدّي حقّ قرّاء صفحتها الزّرقاءْ

وتُنْهي الواجباتْ

الثانية عشْرة بعد منتصف اللّيل:

يصيبها نمشُ القلبِ برعشةِ أقحوانٍ ناضجٍ

أو زهرةِ بيلسانْ

تصبحُ شهرزاداً وسنا

تقضم قصّة أخرى على مهلٍ

وتدنو من سراج الذّات مثل فراشةٍ مبتلّةٍ متبتّلةْ

ويتلوها الحنينُ على مسافتهِ

لا شيءَ تفعله إذنْ في مثل هذا الوقتِ

في هذا الفراغْ

غيرَ تصفُّح الكتبِ القديمةِ الّتي ألّـفْتُها في الحبّْ

ساعةً أو بعضَ ساعةْ

ولا تدري كيف تُسرق منها نفسُها

لتسلمَ ما تبقّى من مهابتها لأحلامِ المنامْ

ما بعد حفلة التّوقيع

(1)

كنت أكتب لها الإهداء بعفويّة بالغة أمام الجمهور

كان زوجها إلى جانبي وإلى جانبها

كنت أصفها بالعزيزة الّتي تشعّ نورًا ومسكونة بالشّعر

مع خاتمة متهوّرة كتبت فيها «مع كلّ الحبّ».

(2)

هناك حيث سيكونان معًا في غرفة النّوم قبل الصُّعود إلى السّرير، والتّهيُّؤ لحفلة اللّيل الطّويلةْ

سيتجنّبان الخوض في هذا التّهوّر من صديقهما المشترك.

زوجها سيعتبر ذلك فورة سعادة عارمة فرحًا في حفلة التّوقيع

أمّا هي فرأت أنّني نجحت في اختراق الظّروف لأقول لها «أحبّك» بطريقة علنيّة أمام الجمهور وأمام زوجها.

وأنا لم أكن أرى غير أنّني عفويّ، أدركت شيئًا من حقّي في اللّغة كي أقول لها ما ينبغي أن أقول لها

(3)

واحد أو اثنان من الجمهور القليل العدد أصلًا سيلاحظ ما كتبت

لم يفسرْ الأمرَ أحدٌ إلّا أنّه اعتياديٌّ ويحدث كلّ يوم...

في مجتمع المدينة الثّقافيّ لا يعدّون الأمر لافتًا للنّظر أو أنّه تهوّر عاطفيّ محرج

سيعربون بعفويّة عن جمال عبارة الإهداء ما قبل الخاتمة

ينتهي الأمر هناك في لحظته دون حدوث إشاعةٍ أو مشكلةْ

(4)

أين المشكلة إذًا لأكتب كلّ هذا؟

سيفترض القارئ الآن أنّني سأقول له أمرًا غريبًا أو خارجًا عن سياق المألوف أو أنّ طرفة ستقعْ

أو على أقلِّ تقدير سيكون هناك مفارقة بغضّ النّظر عن درجة البين بين طرفيها

سيشعر القارئ الّذي لم يشهد حفلة التّوقيع أنّني خيّبت أمله في امتناع التّشويق في مشهد الكتابة.

سيقول أنّني كتبت شيئاً عاديًّا لا قيمة لهْ

وفي سياقٍ متّصلٍ

سيسخر منّي في سرّه ناقدٌ متحفّزٌ وربما علانية، ويصفني بشاعر رديء

لن يفكّر أنّني عفويّ، وأكتب لامرأةٍ أحبّها بطريقة عفويّة خالية من البلاغة والمجاز وأدوات التّضليل اللّغوي والمعنويّ، وسينسى أنّنا واقعان في شرَك العاطفةْ

(5)

القارئ اليوم يبحث عن مشكلة أو متاهة ليحبّك أو يقرأ لك

أمّا أن تكون عاديًّا، عفويًّا، غير لغويٍّ، لا مشكلةٌ لديكْ

فأنت لا إشكاليّ

لا تصدم القارئ ولا تهزّ شفاهه ليعيد قراءتكْ

ما الذي يبحث عنه القارئ وفشل في الحصول عليه هنا؟

لست معنيًّا بهذا السّؤال

فقط كنت عفويًّا لا أكثرَ أو أقلْ

وأكتب دون أن يكرهني القارئ أو يقرأني أو حتّى أن يحبّني

ما بيننا مجرّد شكلٍ لغويٍّ ظريفٍ إلى حدّ ما

أمّا ما نحن عليه أنا وهو وهي وزوجها والجمهور فمختلف تمامًا...!

كؤوسُ سُكّر

(1)

إلى امرأة تحبّ «السُّكّر» مثل سُكّرْ

سرّ أنوثةٍ معقودةٍ

جسم هو في الحقيقة مثل سُكّرْ

ساقان لامعتان يحتاجان مَنْ

يستعيد فحولته على المرآةِ من جسمٍ مُزَهّرْ

تعالت على وجعٍ لذيذْ

«وردةٌ» في العمق تحمرُّ

إلى امرأة مُجَمّرة الفتيلِ

تحبّ لهيب وصالها برضابه

فيثمل من حدائقِ زهرها كأسٌ تخمّرْ

وتكسرُ كلّ قاعدةٍ

وتجبرُ فيّ ما يوماً تكسّرْ

أيا امرأةً تقوم على مرامرَ من مسارحَ

يستقيم جنونها

بجنون أنفاس على الأنفاس تُصْهَرْ

فخبّئي لي شهوتيكِ

واعتصري

عند الوصال كؤوس «سُكّرْ»

(2)

إلى امرأة تحبّ قصائدي وتولّهي

وتمليني عليّ قصيدة من وحي عبقرْ:

يا حلوتي هذا الصّباح إليك «سُكّرْ»

ومزنّرٌ بالوردِ

فيض الله في الأرجاء عنبرْ

أشتاق ما أشتاق من خفق الحياة على يديك تصير أطهرْ

والشّمس تشرق بين عينيك الحبيبةِ

ينبت في الطّرقات أجمل ما رعاه اللهْ

ليكون بين الخطوتين سناً تقطّرْ

يهيم الطَّيرُ

غرّد لحن شاديةٍ ليسكرْ

فيروز تحمله على أغصانها وتراً

أتاك يفيض من نور تبخترْ

يا حلوة الغاديات إلى النّهارِ

تأنّقي

فهذا الحسن ينبئ أنه بالفعل «مرمرْ»

فيضي عليّ بماءِ الصّبحِ

كي أُروى

أعيدي لي القصيدة غنوة تختال في شفتيك:

«سُكِّرَ» بعدَ سُكْرٍ بعدُ سُكِّرْ.

هذه المرأة لغزٌ

(1)

تحبّني امرأة ما بطريقة عمليّةْ

كحفيف الشَّجر

كوقع النّدى

قُبْلة في مساءٍ طويلْ

كأنّ علينا أن نقصّ أجنحة القصيدةِ

كلّما هبَّ الحنينُ ونادانا الغيابْ

(2)

أيقظني الله بكلْمة حبّ

طيري هنالكَ جملةً

بسمةَ ثغرٍ

لحظةً في الضَّوْءِ ورديّةْ

حطّي هنا كحمامةِ شعرٍ نبويّةْ

واتركي لي هامشي

إنْ ضاق يكفيني عن الطّيرانِ

عن السّياحة والسّباحةْ

عن كلّ ما يُعْلي وما يُدْني

عن كلّ حرّيّةْ

أيقظني ومَدَّ لي راحتَيْكِ

لنكتب ذاتنا الأخرى الإلهيّةْ

(3)

«عمّ يتساءلونْ»

عن حقلك الأبيض المصقول

شعّ في وهج المرايا واستدارْ

هذا هو «النّبأ العظيم»

فتبارك الله الذي أعطى البهاء بكلّ هذا الاقتدارْ

سطران منك كبوح عطر الزّهرتينْ

تتعرّفان على يدي

شفتي

كلّما هام الهوى بلذيذ طعم القبلتينْ

يا حلو ذيّاك الهوى

يضمّني دفء اليدين على اليدينْ

(4)

يمسّني بدهشةٍ قمرانْ

يختلسان فيَّ بشهوةٍ ورؤى

ويحتدمانْ

يختمران بزهرتين على مدارهما

ويبتسمانْ

ويكبر اللّفظ الشّهيّ حولهما

دهشة أخرى بكأس حبّك شهوتان عميقتان

(5)

رقيقةٌ جداً كورْقةِ وردْ

تتوعّكُ في الحرّ وفي البردْ

ينعشها الرّهام الخفيفْ

تؤلمها مسكةٌ من بعض يدْ

لا تحيا إلّا في الرّبيع اللّطيفْ

يهفهفها الحبّ كجملةٍ رقراقةٍ في السّردْ

لا شيء فيها زائد عن حدّهِ

أو ناقصٌ عن حرفهِ

مشكولةٌ

مضبوطةٌ

محكومة (ع القدّْ)

(6)

وتزورني في اليوم أربعُ نسوةٍ

يشغلْنني عن صلاة الصبح والقهوةْ

وعن الكتابة عند مفتتح الضّياءْ

يفتحن أوردتي المليئة بالعشقِ

يرتشفن اللون فيها

أزرقاً كان بأعينهنّ

وفي الحقيقة أخضرْ

فكيف صار اللون أخضرْ؟

أفتّش عنكِ أراكِ لون الحلمْ

دماء نشوتيَ الجموحْ

تغيبُ النّسوة الممتقعات فيّ

وكنتِ اللونَ في مدّ السماءِ الصّافيةْ

العشقُ لوّنني بصبغة أرجوان

ماؤه دمكِ المقطّر في الدماءِ خضرةَ لونٍ

وطعمكِ أبيضْ

(7)

أودعتكِ الإلهاتُ القديمةُ سحرها الوثنيَّ

واستلقت على متون الغيمِ شاعرةً بمتعتها

وأودعتكِ تمائم المعنى تماماً

واغتسلت بنهرين من لبنٍ وماءْ

واستراحتْ في أغانيكِ القصيرةِ فيضَ ضوْءٍ

ضربَ عودٍ

رقصَ أعضاءٍ

وترتيلاً لآيْ

تلك الإلهاتُ استفاضت وحياً سماويّاً

وتنهيداتِ نايْ

نَبُوءَةُ الْعَرّافَةِ وعاشِقَةُ الشُّعراء!

البحرُ يُولدُ في شِقٍّ مِنَ الصَّخرةْ

والزُّرْقةُ الملساءُ تستلقي على موجِ المياهِ النَّزِقةْ

والشّاطئُ الرّمليُّ باردْ

مُتَجَرِّداً من جسمها عند بزوغِ الضَّوْءِ أولَ أمرِها!

ماذا تقولُ الموجةُ المنتظرةْ؟

وكيف تضمُّها بقِماطِها الصُّوفِيِّ المُستعارِ مِنَ الحكاياتِ القديمةْ

دُهْرِيَّةُ البلدِ الحكيمةِ أطلقتْ خمسَ مَناراتٍ بينَ يديْها

هندسَتْ منها اسْمَها العربيَّ

قافيةً لقلبٍ شاعريٍّ عاشقٍ مَوْجوعْ

رُبَّما يُقابلُها من بَعْدِ وحْيِ الأربعينْ

جعلَتْـهُ مَوْزونـاً لئـلا يَكـسرَ الإيقـاعَ عاشـقُها عِنْـدَ بنـاءِ أغنيـةٍ في العشـقِ تكـبرُ كلـمّا اهتـزّ الشُّـعَاعُ

ودار كأسٌ من غَرامْ

وألقَتْ نَبُوءتَها على كفَّيْنِ ما زالا طَرِيَّيْنِ وحُمِّلا دَيْناً ثقيلْ

تكْبُرين صبيّةً والشَّاعرُ الموعودُ لم يأتِ

ولم تَأْتِ القَصيدةْ

تكادُ تكذِبُ كلُّ النَّبُوءاتِ الحَكيمةْ

والعرّافَةُ المَيْمونةُ انتقلتْ إلى المثوى الأخيرْ

والعاشقُ المنذورُ لم يظهرْ

نسيَ الوعدُ المواعِدَ كلَّها

...

وفي يومٍ خريفيٍّ تفتَّحَتْ تلكَ الرُّؤى

وتكلَّمَتْ تلك السِّنونْ

وبانَ الشَّاعرُ المخفِيُّ

عاشقاً مِثْلَ النَّبُوءَةْ

مِثْلَما قالت حكيمةُ البلدِ السَّديدةُ في آرائها

تلقّى الشَّاعرُ الموعودُ خَمْسَتَها حروفَ فَوْحِ وردٍ وأَقاحْ

وصار يكتبُ في القصيدةِ حرَّها وحرارةَ الجسد المسجّى

ولم تأتِ كما نطقتْ نَبُوءتُها الحميميَّةْ

سقطتْ مِنْ كلِّ قصيدةٍ أسماؤها

وحروفُها وصفاتُها

أوصافُها

لكنَّها

عِنْدَ العاشقينَ الشُّعراءِ قَبْلَ اليومِ مَوْجودةْ

وعندَ امرئ القيسِ ابنةُ عمِّهْ

مشهورةٌ بِبَيْتٍ مِنْ قصيدةْ

وعندَ مُثَقَّبِ العَبْدِي

عَطَشُ الوصالِ بـ «.... قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيني"

لكنَّها

عندي كطيفٍ هاربٍ من قَبْضَةِ السَّطْرِ المُوَلَّهِ بالحروفْ

سـأظلُّ شـاعرَها وعاشـقَها ومُوَلِّـدَ الكلـماتِ مـن سِرِّ مَوْجَتِهـا وشـاطئها الرَّمْليّ

مُحْتَفِلاً بذكراها

في كلِّ عامٍ تستظلُّ بقامةٍ من ياسمينْ

وصرتُ أجترحُ البحرَ والزُّرْقَةَ المَلْساءَ

مُحْتَمِياً بخوفي لأكتبَ كلَّ حينْ

الحبّ في شهر فبراير

(1)

كلّ شيء ينسلّ من هذا الشّهر

الماءُ

البردُ

الثّلجْ

وصقيع وجه الصّبحْ

لكنّ الشّمس المجليّة فيهْ

تضحك كلّما انكشف الغطاء القطنيّ الأبيضُ عنها

ينسلّ الدّفء إلى التّربةْ

يتغلغل في العشب وفي الأغصان وفي الأوراقْ

ينحدر نحو الأعماقْ

تتحرك في بطن الأرض جذور الأرضْ

يولد في هذا الشّهر الحبّ أيضاً

عند كلّ الكائنات

وعندي في هذا الشّهر تحديداً يولد مرّتينْ

مرّة عندما تهطل الغيمة فيّ شعراً

يولد للحبيبة ألفُ وردةْ

والأخرى إذ تنسلّ الوردة من بطنٍ حبلى

فتولد هي

(2)

ليس القططُ وحدها من يحبّ في شهر فبراير

البشر أيضاً نوع محسّن من القطط الخجولةْ

يحبّون في شهر فبراير

ليس عيباً أن تكوني قطّة جميلة تحبّين قطّاً جميلاً

ولكنْ ليس فقط في شهر فبراير

مارسي الحبّ كأنّكِ قطّة في الهواء الطّلْق

لا تخجلي من الحبّ في فبراير

فالشّمس تخرج كلّ يوم عارية لتُضاجَع كلّ حينٍ

في شهر فبراير وفي غير فبراير

ليس في شهر فبراير شيء مميّزٌ

سوى أنه في هذا العامِ يولد اليوم التّاسع والعشرون

فليكن كلّ العام في الحبّ فبراير

لننعم بالحبّ سويّاً كلّ حين مثل شمس الله

في الهواء الطلق دونما خجلْ

يا ربُّ «عجّلْ لنا قِطّنا»

فليلنا بارد وطويلْ

وكأسنا على الشّفاه مَشُوقةٌ مكسورةٌ مثلومةٌ

بل فارغةْ

(3)

هيَ والشّمس تنافسانِ على الكسل

ممازحةً

تعبث بي وتضحك منّي عليّ

وتكتب لي لأوّل مرّة رسالتها الطّويلةَ في فبراير

تنفُضُ عنّي البردَ

يفرك وجهَها شعاعُ الشّمسِ

وينطلقان

(4)

لا تقلقي

كلّ العصافير واقفة على شفتي

تنقر الحَبّ من راحتيّ

وتبسمُ لي كلّما اقتربت

تدرُج في الفناء الرّحب نشوى

وتغمس ريشها في آيتين من سُوَري

لا تقلقي

هذي اللّغات ثرثرة على نهر القصيدةْ

تحرّر نفسها من وهَج الحجارة الملساء في مجرى اللّغةْ

تغسل ما تبقّى من روائح الشّعراء في كأس ليلتها الأخيرةْ

لا تقلقي

أللهِ يبدع كلّ حين زهرة لوزٍ أو شاعراً عاشقاً

خلقاً جديدا

ويخلق في النّفس ضوءاً لا يموتْ

لا تقلقي

اللّغة المحدودة ثورة بركانٍ تفجّر في كلّ نصٍّ

كأنّها لغة جديدةْ

الجمال ليس معنى في استعارات لطيفةْ

شيء آخرُ كالإعجازِ يعجز أن يُكَرَّرْ

لا تقلقي

هذا اللّيل أطول منّي ومنك ومن أحلامنا

أكثف من بريق عينيّ اللّتين تنشغلان بكْ

يرى أكثر ممّا أرى

ويسمع متعة الصّمت في جوف هذا السّواد الكثيفْ

لا تقلقي

لا شيء أكبر من شجر الانتظارْ

والشّعراء كالقتلى

لا رثاء يُرجعهم إلى صواب الفكرة الأولى البدائيّة

سوى ابتداءٍ آخرَ في المجازْ

يؤخّرهم في امتدادات الحياةْ

فيشاغبونَ ويفرحونْ

يصنعون الوقت شعراً

يحاصرون الانتظارْ

ويربّون العصافير على الشّفاه لتخضرّْ

لا تقلقي

لا شيء يجرحني

غيابك تخصيب لتربة الشّجرةْ

وإنضاجٌ لحبّات اللُّقاح

وتفخيم لحجم الثّمرةْ

لا تقلقي

في احتجاب البدر ظرْف طبيعيٌّ لميلادي مرّة أخرى على ضفّتيكِ

اكتبي لي كلّما احتجتِ إليّ

أو رغبة في الصّعود إلى غيمة لتمطرنا معاً

«كما بدأنا أوّل خلقٍ نعيدهُ» «وهْناً على وهْنٍ» هُنا

لا تقلقي أبداً

أوَكلّما مرّ علينا ملأ من قومنا سخروا من لحن أغنيةٍ

واشتعلوا واشتغلوا بنا؟

بي رغبة أن يطول اللّيلْ

وتظلّ صورتك الجميلة مثل قنديل تَشَبّعُ بالرّؤى

(5)

كأنّ هذا الحبّ الّذي لا يملُّ

المراوغُ الّذي يتسامى

هذا الّذي يتدانى

يخفى على حين غرّةٍ

ويظهر فجأةْ

يسري دبيبَ النّمل في الإيقاع أحياناً

ومرّات يمرّ الرّعد بين صدغيهِ

ولا يُلقى له بالاً

رحمة هذا المسمّى

بين احتراقين جميلين باسم الحبّ

في اليوم الثّامن والعشرين يشرب كأسه على عجلٍ

كي لا ينامَ بعد الهزيع الأخير بالضّربة العاطفةْ

يلبس قفّازتينِ ناعمتينْ

يمدّ لي ذراعيهِ

ويحضن وردة نشوى على جسد الحبيبةْ

وفي اليوم التّاسع والعشرين من شهر فبراير

يختم الحبّ بالحبّ سنة كاملة مكتملة

تسمّى هنالك في التّقويم سنة كبيسة

عندما أحببتك كانت كذلك

وعندما صلّى عليك الله في الميلاد كانت كذلك كاملة

هيَ كلّ هذا
«مُمْتَلِئٌ بِكَ كُلّي- جلال الدين الرومي»

هيَ نفحةٌ من وحي ربّكَ

كي تكون غوايتكْ

هي نفخةٌ من روحهِ

كي لا تغادر في الحياة مواجعَكْ

هي مثل نهرٍ غسّلكْ

وتحوّلكْ

وتبدّلكْ

منح الحُصَيّاتِ الصغيرةَ أن تصيرَ خطيئتكْ

هِيَ كلّ ما استعصى على لغة الإلهِ

وعرّفكْ

بكؤوس وَهْمٍ أشبعكْ

هِيَ كلّ هذا:

المعمعانُ

الاضطرابُ

الاهتزازُ

الاعتدالْ

هِيَ كلّ ذيّاك الأوانْ

هِيَ كلّ هذا الناقصِ المحتاجِ في الوقتينِ لكْ

هِيَ كلّ هذا:

الامتلاءُ

المدُّ

ذاك الحدُّ

هِيَ كلّ ما أعطاك حدّكَ كي يحدّكْ

هي من يقوم مصلّياً يدعو إليكَ

ليصعدكْ

هِيَ كلّ ما يصبو إليكَ

ليرفعكْ

أو يهوي عليك ليستبيح مهابتكْ

هي دمعة الصوفيّ تنبع من فؤادكَ

تغرِف الرؤيا وتصنع وردتكْ

هي غمسةٌ تُنْسيكَ ما اهتاج في ليل الضياعِ

وضيّعكْ

هي ما ابتلاك ربّك من شقاءٍ أسعدك

وأتت إليك اليوم ملأى بالنقاء لتنقذكْ

فاطمة والنهر

كانت هناك «فاطمةُ» تغرفُ من موجةِ النهر

حفنة ماءٍ

وتغسل عضوها فيهِ

ومع أترابها تعلّق ثوبها في الظلْ

أتاها على عجلٍ رجل يُسمّى «امرأ القيسِ»

يحمل خمرة وعينين وقلباً وبعض عبثْ

حياة ثانويّةْ

هل تعلّق في ضفّة النهر مياهاً ليلكيّة؟

كيف كان الوقت يومئذٍ؟

ماذا تفكّر فاطمةْ؟

وبأيّ قطعة غيم ستلتفُّ؟

أكانت سطوة المَلك العظيم ميّتة بها؟

أكانت تضاجع نهرها وتروي ماءها دون سيّدات النهرْ

تناجي الماء في وَلَهٍ وسرّ؟

أكان بها حنين ما لشيء لا تراه الشهوة الجامحة؟

أكانت تفكّر بالسؤال أمِ الجواب؟

أم الغوص في المياه الدافئةْ؟

كيف صارت فاطمةْ

بعد شؤم الرؤية المتجلّية؟

تكره امرأ القيس شديداً

وتكره المُلْك والشعرَ

وتنسى النهرْ

تحبّ كلّ شيء دونما شيءٍ من الغيرةْ

هي امرأة جديدةْ

مثل ذاك النهر أيضاً تبدّل كلّ حين ذاكرةْ

لكنّها لم تنس يوماً أَنْ تحرَش النهر بها

وعذّبتْ مَلِكاً

وصارت في القصائدِ «فاطمةْ»

قصّة أخرى لعبلة بنت مالك

عبلةُ تشرب كأساً من الخمرِ وترقص في البار مع الأصدقاءِ وتغمز بدهاء زميلاً شاعراً آخر

عبلة تعلن أنّها نسويّة جدّاً وتقرأ (سارة جامبل) و(فرجينا وولف) ونوال السعداوي وقاسم أمين، وتنام في غرفة الفندق حرّة دون أن تخبر أيّ شخص بذلك

عبلةُ اليومَ تقود في زمن الصحراء حزباً سياسيّاً، تترأّس كلّ اجتماعات القبائل، أصدرت كتباً لتقرأ في الحلقات وتُشرح.

عبلةُ الآن واقفة أمام الناس في الساحة الكبرى وتخطب في القوم:

ألا يا أيّها الناس اسمعوا، وقف الشيطان على قرنين

ألا يا أيّها القوم الحيارى استمعوا، رفع الله النّجوم فوقكم كي تهتدوا

ألا يا أيّها الشعراء الحاملين الوزن والإيقاع وثقل القافية، مرّ منذ أيّام «نفرٌ من الإنسِ» وباضوا في الطّلّلْ

وانتهكوا القصائد كلّها وكسّروا سطح الملل

«ألا يا أيّها اللّيل الطّويلُ، ألا انجلِ» لتخبر قادة الشعراء أنّ الأولى ماتوا بسمّ حضروا لينتقموا

ألا يا صاحب أمّ أوفى أين أنت الآن؟ الحرب واقعة لا محالةَ جهّز دِيَة

القتلى من الطرفين، لنعقد صلحاً على قارعة الحدود

ألا يا أيّها المقتول دون عمرك عُدْ لتعيد رسم وقيعة وخديعة أودت بنا قبلك

سنخبر خولة مع بريد الرّيحْ

لتلوح لي «كباقي الوشم في ظاهر اليدِ»

ألا يا أيّها القوم استعدّوا، قام عمرو بن كلثوم ينادي

يقتل الملكَ العظيم ويشرب نخبه ويكتب للسماء قصيدة ويصيح في فرحٍ: «ألا هبّي بصحنك» والصّحون طائرة ووزّع للروم «خمر الأندرينا».

عبلة انتبهت أخيراً أنّها نسيت مع كلّ ذلك عنترَ، لمعت بذكراها السيوف الماضية. انتظرت طويلاً في النواصي الباردة لعلّ عنترةً جديداَ يروي لها باقي الحكاية.

وعيُ الدّم

وعيُ الدّم

الجنسُ

الحربُ

الحبُّ

العصرُ

الماءُ

الأنثى

اللّيلْ

الدّمُّ الباردُ في الشّريانْ

الدّمُ الرّاقصُ كالهذيانْ

الدّمُّ الجاري بين حرٍّ خليّتينْ

وعي الدّم

الخمرُ

الثورُ الهائجُ

نصفُ إلهٍ

نصفَ خطيئةْ

نصف امرأة تتحلّى

بطهارة وعي الدّم

تسكب دناً سرّ الدّمْ

وعيي كان بوعي الدّم

مثل كتابةٍ منسيّة مشبوهة

مرجومة

أسطورة

بحضارة من مرّوا ولم يستكملوا لغة سوى لغة الدّمْ

المرأةُ يحمل عنها ويبرّرها

ويمرّرها وعيُ الدّمْ

تتعرّى وسط الغاباتِ الممتدة

والطّقس الكاملُ وهج الدّم

والغيمة بين الفينة والأخرى تفتح مسربها للماءْ

ليكون دمْ

«من كلِّ زوجينِ اثنينْ»

مُهَرّبينِ وهاربينْ

لا شيء مكتمل بغير دواتهما الصّغرى

وبدون هذا الفاتحِ وعيَ الدّمْ

سَرْدٌ في الجسد

(1)

هي دائما عندي الأصيلةُ والفرسْ

هيَ الكلمات أشواقي وأعماق الهوسْ

هي دائما عندي اقتباسٌ وقبسْ

(2)

صدركِ العامرُ بالأنوثة بالبياض يغري بالتعبْ

يغري الكلام بشاعريّة حرفه الممسوس

يغري بالشغبْ

صدركِ المجنونُ مثلي يفتحُ خطّه للضدّ

يترك لي كفّين من مسّ اللهبْ

عُرفه الأحمرُ هذا الليلَ يهمسُ بالعتبْ

صدركُ مثلي شاعريّ شاعرٌ بغربته

متلصّص من شقّهِ

متلمّظ بشهيّة الطقس المخمّر في عناقيد العنبْ

صدرك أجرأ منّي

يعلّمني شهيّات الرطَبْ

فلتغنّي كلّما انتصبت على مسارحه الخطبْ

صدركِ المحتدّ في صدري انتصبْ

فافتحي الآفاق واشتملي عليّ

وارقصي رقص الخببْ

(3)

العلاقةُ ذاك الاقتراحُ الجماليّ تكون على الجسدْ

وتكبر في الجسدْ

وتسير نحو علوّها إلى كُنْهِ الجسدْ

هناك تكشف عن مفاتنها الغريبةِ

في مفاتنَ من جسدْ

تتعرّف الأعضاءُ سرّ وجودها

بفلسفة السَّماء على جُمَل الجسدْ

الجمال الداخليَّ الخارجيَّ

علاقةً أخرى

يكون النّصّ فيها واضحاً بسطرٍ من جسدْ

من أخمص القدمينِ حتّى أعالي النّهد

والنّشوى جسدٌ جسدْ

يا شهوة الروح المعرّف في الجسدْ

أعطنا السرّ الإلهيّ انتشاءاتِ الجسدْ

أسئلة لذاك البحر

ماذا يقول لها البحرُ عندما يلتقيانْ

عندما دخلت إليه بكلّها

عندما مسّ المياه حرارة جسمها؟

ماذا يحدّث عن مفاتنها الشهيّة تلك

في شعرها المربوط

في جيدها المنصوب

في متنها المصبوب

في صوت ضحكتها وهْي تراود الماء المشاكس؟

ماذا سيحفظ عنها البحر؟

أغنية لفيروز

أم شكل خطوتها الفتيّة في المياة؟

ما شكله الآن؟

هل صار أضيق بعدما خرجت ولم تترك له أحلامه ليتّسع المدى؟

أراه مثلي واقفاً متشوّقاً لتكون فيه

فضاءٌ من لحمٍ أسمرْ

اللحم الخمريّ الأسمرُ مدهونٌ برائحة شهيةْ

كلحن ضوء هادئٍ

كنغمة شمعة تضاجع ما تبلّج من جسد حريريّ يغنّي

ترتجف الشهوة فيهْ

يستجمع ماء ذكورتنا ويفيضها في الأروقةْ

في هذا الفراغ المتاح من وقتنا الأزرقْ

اللحم الخمريُّ الأسمر حيث يفرّ من كتفيها المصقولينْ

من متنٍ مسكوب كقطعة ماسٍ مشويّةْ

بأيادي الصمغ المحروقة بالنشوة الملتهبةْ

يكرج في الكأس دفقة متولّهةْ

اللحم الخمريّ الأسمر مثل رحيق الوردْ

مختمرٌ بها

يسأل دون حاجته لغير جوابْ

أين من يعيد صياغة الأشياء قصيدة لَيْلَكٍ

متحفّزاً لوصالٍ

متحرّفاً متحيّزاً متعرّقاً متكوّراً

اللحم الخمريّ الأسمرُ هذا

فنجان من خمرٍ أسمرْ

ينضج كلّما مرّت عليه النظرة الولهى

ليصير أندى

أشهى

أقرب

من ذاكرة الماء الغنيّة بالطقوسِ الوثنيّة النشوى

اللحم الخمريّ الأسمرُ هذا

مثل صباح الخير

يلقي التحيّة كاملة التفاصيلْ

ويشرح بهجته المكتملةْ

مع قطعة حلوى

عيدُ ميلادٍ جديدٌ كلّما عاودتُ في العينينِ وصلهْ

حلمي شهيّ إنّما

(1)

عندما قالت ليَ صفني

واجْلُ عنّي من غبار الأقمشةْ

وأزلْ عن جسميَ المكتظّ فيك كغيمة متشبّعةْ

أرني منّي كما تراني شاعراً يرتاد فيَّ يجوسني

ويحليني تمثال عشقٍ لامرأة

(2)

يا حلو هاتيك الصفات المثمرةْ

من لدن شَعرك كالنسائم عاطراً ومعطرهْ

والعين فاترة ترى ما لا تراه الجمهرة

والأنف مشمول الظبا أنفاسه متطهّرةْ

والوجه ضوء فاتن مصقوله يعلو خدوداً مزهرةْ

أمّا الشفاه بحلوها برضابها كأس تعتّق مسكرةْ

والجيد ما قال القصيدُ، قديمه وحديثه،

«نصته غير معطل» كالمسطرةْ

والصدر يزهو باجتماع ثماره يا طعم تلك الثمرةْ

والبطن أبيض كالحرير أسطورة متحضّرة

و»الشيء» أنضج ما يكون كأنّه بوصاله كالمحبرة

والمتن فيك كأنّه من علوه متحدّراً

أعجزت فيه الشعرْ

حتى غدوتُ مبعثرا

واللّامعان الأبيضانِ كلاهما فكأنّما

نَصَبا على زجاج مظهرهْ

جسد تقوّم بالبراعةِ سالباً لبّ الحليمِ، تكبُّره

(3)

يا حسن حسنكَ إنه قد فاض فيّ مقطّرا

أُرْوى به وبظلّه وبكلّ ظلّ صوّره

متأمّلاً فيه الرؤى يا عمق فكر أظهرهْ

أشتاق وصلاً كلّما مسّت يديّ محرّرهْ

فالعذر عذري أنّني أصبحت مُلكَ البعثرةْ

فالعذر أيضاً مرّةً وبكلّ وقت مَعْذرةْ

حلمي شهيّ إنّما هذي المسافة ما نرى

الممكنُ الأبيض

(1)

الوقت يطعن خاصرة اللغةْ

يحاول أن يجري على حبل من الصوت الكتوم

واللغة القديمة مثل عجوز بدّلت أسنانها

وجلدة جسمها عند قارعة الزمن

كانت اللغة تشبهني وأشبهها

وكنت ناقصاً عن وعيها

أكتب سطحها المعتم دون نور الله

أبعد من ظلّ تلك الشجرةْ

لم أكن أتقن ظلّي

كان يصغرني ستة وعشرين حرفاً خزفياً

وذانك الحرفان مثلي أعرجان ومعتمان وناقصان

الآن أكتب من بصيرتيَ الجديدة من غير لغةْ

وتحرّر السطر الأخيرُ «الممكنُ الأبيض»

من ثمانٍ وعشرين أيقونة بائسة

وعدت مثلما ولدتُ أوّل مرّة بريئاً من التأويل والجغرافيا

وجنون المتعة البصريّةْ

وصرت أكتب بالعين ما تشبّع من شذى

صرت أبصر دونما لغتي القديمة

وأعدائي كثيرون

سلطة أبويّة ودكتاتور

ولم أختر سواي

(2)

سأفقدُ كلَّ شيءٍ إنْ خسرتُك

قامتيَ الْمَحْنِيَّةِ الظِّلْ

وطعمَ الليلِ في فنجانِ قهوتيَ الباردةْ

وطعمَ الانتظارِ المرِّ في لُغَتي الشقيّةْ

لمنْ سأكتُبُ إنْ خسرتُكْ؟

ولمنْ أغنّي؟

سأفقد قِبْلتي وبوحَ السجدة الأولى بأنفاس الصباحْ

وتخونني فيروزْ

ستفقدُ صفحتي الزرقاءُ

ثمْرةَ غصنِها الأخضرْ

تتساقطُ الخُصْلاتُ من جُمَلي على الصحراءِ

ناشفةً تصوِّحُ في العدمْ

وتَنْكَفئ الكؤوسُ ويبسُ خمرُ اللذّةِ النشوى؟

وتنقطعُ الملائكةُ الجميلةُ عن زيارةِ ليلتي

وتلبسُ بُرْنُساً أسودْ

إن خسرتكْ

ربِح الحزنُ جولتَهُ الأخيرةَ وانتصرْ

وماتَ الأبيض الشفّافُ من ورقي

وأغصانُ القصيدةِ عاريةٌ الخريفْ

إن خسرتكِ لا شيء يصلحُ بعدها

ليقولَ حرفْ

على كراسي العرش
{الحبُّ متعته أنْ تَنْجَرِحَ مِنْ وَجَعِ اللّذّة!}

(1)

أناديها: ارتعشي عليَّ

وكوني كلّ شيء فيَّ

واكتبي سطرين في جسدي على وثيرٍ عسجديّ

فكلّ ما في الكون يغدو هائماً بين يديَّ

(2)

هوت عواصفها

تهاوت مثل عاصمة فتحت مساربها

وأجرت في بهاء اللّيل نهريْها

وأروت شفتيَّ

(3)

ما بين ملابسٍ شفّافة نشوى

وبين أصابعي عدوى عدوّ شرسٍ

حرَري الأعضاء من غُرَزِ الخيوطْ

واغزلي جسدي قطعتين صغيرتينِ:

واحدةً لزرّ الوردْ

وأخرى هاربةً لطير الصّدرْ

وغطّيني بشعركِ اللّيليْ

أستحمّ بلونِ زهرْ

(4)

تعالَيْ استعمري لغتي

وغنّي لي أغانيَ حبْ

تعالَيْ

واسكبي هذا الرّحيق على ليلٍ وقطعة نردْ

تعالَيْ

وازرعي نهديكِ في صدري بحق الرّبْ

تعالَيْ

والبسي عُريي بعمق القلبْ

تعالَيْ

أستلذَّ بحدّك الماسيّ كي أحظى بعنفِ الرّدْ

تعالَيْ

فالهوى يشفى على ثغرٍ تعمّد بالتحام الحدِّ تحت الحدّْ

(5)

انعجني فيّ بعنفْ

واتركي اللّطف لأصحاب الصّورْ

وانثري شبق الضّرامِ على هذا الجسدْ

وارتحلي كلّ مساء في مساماتي

ألفُ عامٍ ليس تكفي كي أعيد بناء ذاتي

أيّتها اللّذةُ انهمري عليَّ

وحلّليني

فكّي من يديَ الضّعيفةِ كلّ قَيْدْ

حرّري هذا الضّبابَ من الكثافةِ

واغسليني

واعتلي برجي المغمّس بالنّدى

وانتصبي مثل ضوء باذخٍ يُهدى

بعَرْف النّدّ

أحبُّكِ أيّتها المذوبة في دمي كدفقةِ شهدْ

(6)

قليلُكِ النّهــرُ يـجري في

شــراييني

فهــاتِ كــأسَكِ رشفاتٍ

تُـــروّيني

لا أطلبُ الكلّ يكفي الرّوحَ

دفءُ يدٍ

فاللهُ يعلــم شوقَ الكـــــافِ

للنّـــونِ

(7)

هيّئي لي فراش اللّذة الكبرى

أصارعُ موج بحرِكْ

أستغيث رائحةَ المجون على مجونكْ

أركبُ قارباً من صنع سحر يدكْ

إلى عمق المحيطِ اللّولبيّ على مشارف حبّتين من ثمرِكْ

أسبحُ في الشّبقِ اللّانهائيْ

وأرمي كلّ أوجاعي لأسماك البحار الجائعةْ

كلّما عاينتُ أرضَ النّهر والمجرى

استعدتُ عميق دفئكْ

(8)

نهداكِ يأتلقان مثل ضوء الفرقدِ

ويختمران نهر حياةْ

وزهرة ثغركِ الوردِيّ

زغاريدٌ بعزف الآهْ

فكرة تصحو بألفيْ رغبةٍ

تلملمني كما زبد المياهْ

(9)

مثل النّهار جديدةٌ

مثل السَّماء مديدةٌ

مثل الرّياح عنيدةٌ

مثل الملاك بهيّةٌ

مثل الغزال شريدةٌ

مثل الضّياء نقيّةٌ

مثل المعاني الغامضاتِ شهيّةٌ

هي كلّما حكّ اشتياقي شهوتي

طارت حماماً وامتقعتُ بأنّتي

(10)

قبل أن ينبتَ عمري في متاهات التّعرّي

لم أكن أدري

كنتُ مشغولاً أغنّي:

«لستُ أدري، لستُ أدري»

جئتِ نصّاً فلسفيًّاً شارحاً عقلي وصدري

صرتُ أدري «أنّني بالفعل أدري»

أَوَتدري يا الحبيبةُ أنّكِ الوحيُ؟

أتدري؟

(11)

سأكون نهر إيقاعٍ فأجري المياه على صدرها

في تربة لحمها الفضيّ أغمسُ قافية القصيدة

أجتازها

حاملاً مائي المقدّسْ

أعجنُ الطّين بالطّينِ

أتلو على مسامعها المزاميرْ

«داود» يأتي هنا ليغنّي لها مقطعين من لغة «الزّبور»

سأكونُ كما السّكونْ

واقفاً مثل عصفور على خصلة شَعرها الذّهبيّ

وتنتهي لغتي إلى حرفينِ

يبتلّان في ماء الذّهولْ

أصبحُ الشّاعرَ النّهرَ هناكْ

وتكتملُ الحقيقةْ

(12)

أحبّك أيّتها الخضراءُ

مثلُ الشَّجرةْ

الممنوحةُ ألقاب اللّغات الخُضرِ

في عناوين الكتبْ

الممزوجةُ من مجاز ومطرْ

أسطورة على ضفافِ الأنبياءِ

جرياً في نَهَر

أيّتها الصّورةُ الأيقونةُ الحرْفيّة اللّا تُعرّف في اختبارات الصّورْ

أيّتها الأثيرة كالصّباح الحلو يُغرق صورتي

لغتي

فيضُ القمرْ

أيّتها العصفورةُ النّاعمة الرّوح

والملمسُ الضّوءْ

تعلّقُ لون ريشتها عليّ

غيماً وأشعاراً وظلّاً من شجرْ

(13)

أحتاج لأكثرْك

أحتاج دفء يدكْ

أحتاج بحراً هائجاً كيما يغرغرني الموجُ بعمق شهيتكْ

أحتاج ليلاً كاملاً

كي تنبت الأشجارُ أوراقاً على ضفافِ رهافتكْ

أحتاجُ ضوءاً هارباً من زرقة الأفلاكْ

لأشاهد الأسماءَ تتلى في اكتمال محارتكْ

أحتاج سمرتك الشّهيّة في دمي

كأساً لذيذاً في طقوس غوايتكْ

أحتاجني وتراً ونايْ

أحتاج أكثر أكثرْكْ

(14)

هكذا

رفعتْ مقامَ قافيتي على كراسي العرشْ

«واستبدّتْ مرّةً واحدةً»

فكنتُ عرّافاً غنائيّاً جميل الطّيْشْ

(15)

هاتِ الوردَةَ

الشّهوةَ

الكأسَ الشّهيّةَ

إنّ الخمرَ جائعْ

لا سيف لي أبداً

أسامحُ الشّعراءَ عن كلّ ما صنعوا أو ما يصنعونْ

سوى أن يسرقوا منّي القصيدةَ والحبيبةْ

أسامحُ القرّاء إن أوّلوني خطأ في دلالات المجازْ

سوى أن يدخلوني كتب الشّعرِ بصوت الشّعراءْ

لأكون غيري

أسامحُ المرأة الّتي أحببتها في كلّ قصيدة غزليّة إن رأتني ماجناً

أجرّ ذيل الفسق في عزّ انبهار الماء في جسد السّماءْ

لكن لن أسامحها إن رأتني خائناً

أتصيّد الغزلان على باب الحدائقْ

أسامحُ اللّغة الّتي تأبى الانقياد لحرفة الشِّعر الحرونة

تراوغني فأرضى

تشاغلني عنّي فأطيع فيها قوانين الكتابةْ

إلّا أنّني سأكون مضطراً لأغضبَ

إنِ استقرّ الخطأ البهلوانيّ في لغتي ليخدعني بزيف صورْ

لأحاسبنّ الله إن حاسبني

أنا شاعر أبحث عن جلال الله في سرّ العصافير الطّليقة

وهو الله، جلّ جلاله، أخفى عن الشّعراء أجمل الكلماتِ

غطّاها بضباب ناعم ما بينَ بينِ الشّفتينْ

وأسكرهم بالوزن والإيقاع وكأس القافيةْ

أسامحُ الكون عن أخطائه في حسابات الشّهور القمريّةْ

ولكن فليترك ليَ الكون منطقة الأحلام خارج يومه المعتادِ

لأكتب ما أراه جميلا

أنا شاعر لا سيف لي أبدا ولا أحبُّ قطف الوردْ

وأحبّ النّاس والدّنيا ويوم الآخرةْ

أسامحكم جميعاً

لكن

لا تنخروا لغتي بسوس الاغتيابْ

أَوَتقتلون الشّغف النّديّ بمضغ لحم أصابعي؟

كفّوا الأذى

حرّمتُ أكل قصيدتي على الأبوابْ

فالشّعر وحيُ الله والوحي رحمته الجميلةْ

لم أقرأ لغيري

لم أقرأ لغيري

أخافُ عليَّ

ذائقتي من التدجينْ

أحبّ أسلوبي وأغنيتي

وأطرب للحون المستقيمة في بيت شعرٍ مضطربْ

لا تقتحمني يا صديقي

دعني أغرّدْ على شجر الصنوبرِ وحدي

لتسمعني البلابل شدوها في الصبحِ

دون صياغةٍ من لحنْ

دعني وشأني

كي أصوغ قصيدتي نثراً بلا صور مجازيّةْ

بلا لغةٍ من التفكير عالية الوضوحْ

دعني

ولا تفسدْ عليّ الارتياح إلى السفوحْ

فلا لغتي ستشبهني ولا لغتكْ

فدعني ولا تُقلق جماليّاتكَ الحيرى

ولا تُقْدِمْ على غرَفي ودهليزي

ودعني تائهاً أجري وراء الغيمِ

في الأحلامِ والأوهام دون شهيّةٍ من حكْمْ

فلا تمطر على شفتي رذاذاً حارقاً مرّاً

لعلّي أستفيقُ على صباحاتي أنا

دون تعديل من النجوى

ومن بوح أتاك مسروقاً على غفلة

لم أقرأ سوى القهوةْ

سوى حظّ بلا حظّ بكلّ جريدة لا تقرأُ

فلا تركب مطيّتي المطهّمة الرؤى والدربْ

وخلّ الكاهنات على الفضاء يتلونَ بعضاً

من رجوم الغيبْ

فلا تقلق

فلست مكذِّباً أحداً

ولست معفّراً للشيبْ

فكلّ ما قد قلته مغموسة أحلامه بالريبْ

وماذا بعدْ؟

سأترك كلّ ما يُفضي إليَّْ

لأعبر فيّ مجهولاً يعرّفني عليَّْ

فما تُرخي إليَّ الحبل

فلست بمؤمنٍ مثلكْ

بلون السيلْ

وخلّ لي مسافاتي

لخيلي

في مساماتي

فلست أنا

كما تقتات في بعض الهوى ذاتي

أنا خبلٌ وإرهاق وشكلٌ شاطح

من كلّ طيفْ

فلا تفسد صُنوج الحرفْ

لغتي وحدها جلّنار

(1)

لستُ صديقاً لأيّ شاعرٍ

لكنّني صديقُ كلّ قصيدةٍ

تلميذةٍ بحضرةِ الصّورةْ

(2)

غامضٌ من فَرْط الوضوحِ هذا الضَّوْءْ

كيف تعرّفُ الحرفينِ في جسد حريريٍّ

مُضاءٍ بزهرة لوزْ؟

(3)

فضّ البكارة ثالث غيري وغيرك

إذ تفضّ بكارة الحرفينْ

تعوّضني الخسارةْ

وتسري في دمي خمراً ودندنةً وطيفْ

هكذا يكمل النشيد دورته ليبدأ في الوضوح

(4)

أعطيكَ قافيتنِ

أمنحُ وردتي ماء جديداً

وأخلع عن جسدي ورقَ الكتابة

يغسل آهاتي نور القمرْ

في دمائي ما تغازر في يديكَ

وأستقيمُ على الصّورْ

(5)

يوماً سأكمل عزلتي عنّي

أعود إليّ

لا أسمع غير صمتي والمكانْ

أكلّم الأرواح في جدرٍ بليغة الإيحاءِ

أصعدُ سلّمي

ويدُ اللهِ تمسكني

تعلّمني الحكمةُ سطرَها الأبديْ

وأعلن بدء تقويمِ الحياة

يوماً سيقتاتُ السّنا من وهْج أغنيةِ السَّماءْ

(6)

ما بعد منتصف اللّيلْ

كلّ شيءٍ في دمي

يأخذ شكلَـه العصبيْ

والحكايةُ ذاتُها

يفتحُ بابَها الشَّغِفُ

(7)

أكُتبُ لتبقى المدينةُ حيّةً

لتبقى امرأةٌ جميلةٌ تبحثُ عن فكرتها في عشاءٍ

طويلِ المائدة

أكتبُ كي أهندسَ فجر مدينةٍ

يغسلُ البحر رجليها هناكْ

وينظر نحوها ليرى فأرى

يحملقُ نحو منتصف الطريق

يأنس باسماً

يغازل بسمة نبتت على طول الشّراعْ

أكتبُ كي أراك وأحيا

(8)

ورقة صفراءُ

تسقط مع خفيف الرّيحْ

تطحنها الخطواتْ

ذاك الّذي يُسْلِم شخصكَ للنّسيانْ

قلبكَ أخضرٌ عندي كزيتونةٍ معمَّرةٍ

تعرِفُ معنى هاتيكَ الحياة

(9)

كلّ شيءٍ هو قيد

الصّديقُ

المعرفةُ

اللّغةْ

والذّاتُ أمّ القيودْ

يتوالدُ منها ألفُ قيدٍ وقيدْ

إلَّا أنت حرّيّةٌ لا تُحدُّ

(10)

مكثّفة كجملةٍ شاعريّةْ

كقطرةِ عشـقٍ على جناح القلبْ

كحبّات النّدى في صباح الزّهرة الرّاقصةْ

كليْلةٍ ماضيةٍ لمستقرّ الأغنياتِ الفارهةْ

أنا واللّيل نشبه هاتيكَ الكثافةَ المنداحةَ

والمُزاحةَ في النّصوصِ المُغرقةِ المعنى بنا

مكثّفةً سأظلُّ حتّى تفكّكني مباهجكَ المديدةْ

(11)

تتجلَّى فيَّْ

عند أوّل خطوةٍ نحو اللهْ

تمجّدني متعةُ الصّمتْ

تسدُّ عليَّ بابَ الدّيرْ

صلاةُ صوفيٍّ تحلّلَ من يديك على يديكْ

أيّها السّامعني بِجِذْعِ صنوبرةْ

وحفيفِ وردةٍ خَفِرةْ

انظرْ إليَّْ

جبلي تصدّعَ والألواحُ ملأى

(12)

رأيتُ امرأة لحظة واحدة كبرقْ

حاولتها مرّة أخرى

فرّت على عجل الصّباح

يا لبؤس الحالمين في هذا المزاج الشّاعريّ المخادع

(13)

أفكّر بالشّعر على نحوٍ لغويّ، وباللّغة على نحو شعريّ

أفكّر بالذّات على نحو جماليّ، وبالجمال على نحوٍ ذاتيّ

وهكذا

حتّى ظننتُ أنّني لن أنتهي

(14)

كعادتي؛

أتأمّل وجهك في المرايا

أقرأ الصُّحف اليوميّة

أتابعُ شؤونيَ الأخرى بفرحٍ كبيرٍ

وأكتب...

(15)

أثماري ناضجةٌ في فمك

تخصفُ الأوراق تترى معبّأة

بالنّشيدْ

يداي مثل يديك مورقتان خضراوانْ

شجْرتا أرزٍ وتينْ

ترتعشُ الشّفتانِ من أثر اللّغةْ

(16)

أتهيّأ لكْ

روايةً منقوشة أشعّةَ شمسْ

مجليّةَ حبٍّ في عينيْ

أتوارى فيكْ

كلّما أوغلتَ في أبّهةِ الصّمتْ

(17)

ما ألذّك أيّها اللّيل!

أستريحكَ تستريحُ وأستمتعكْ

أستفيقك تستفيقُ وأستوطنكْ

أرتديكَ وترديني يغلغلُ فيّ دفئكْ

(18)

أجالس غيمةً في الفضاء الرحب

وأسكبني وردة في جملتين شريدتينْ

يومضُ البرقُ ثانيةً

نصعدُ كالضّوْءْ

يبتلعُ الرّعدُ صوتاً طارئاً

يخشعُ في جلالِ الانهمارْ

(19)

في وجه قدّيسٍ تنوّر في المعاني المطلقةْ

بمغارة القدّيسْ

في شجْرة ذهبيّة الأغصانْ

موسيقى الجموحِ الدّاخليّ

لغةٌ تفكّك سحرها في داخلي

بصورةٍ متوهّجة

(20)

لو زرعت حدائقي شجراً

أرخيتني على ظلّي

لو أنّك أطعمتني

لشبعت من كسرةٍ على موائدِ حبّي

لو لم تكن لي مثل شمس النّهار

لعمّت الفوضى محاريبَ الصّلاةْ

(21)

قدحٌ واحد من نبيذ دمك

نشوة عبقريّة

تفتح أبواب الجنّة

وتُشهدني على ملائكتكْ

تحرس لي دمي

وتعصرني كرمةً في لذيذ شهيّتكْ

(22)

معركة الأفكارِ طويلةٌ يا حبيبتي

مَنْ ذا سيهزمُ امرأةً مثلك

أو فكرة عمرُها أزليّ

(23)

يا أللهِ

مَن مثلنا في هذا العالم؟

ذاتا واحدة في جسدينْ

مكانٍ واحدٍ

والزمانُ هنا في قلب اللهْ

(24)

شهيّة مثل الماءِ كقطعة معنى

شاعريّة كصخرة تنظر في البحر

ترقبني على امتدا بصيرتي

كنت تغسل فعل الشّهوة في ناظريّ

أتيتك إذ أتيت إليّ فيّ

(25)

هذي السّماء دفاتر اللهْ

والنّجوم قصائد العينينْ

هناك قرأتَني وكتبتَ أوّل أوّلي

فعرجتُ فيكْ

وانفتحَ الطّريقُ على الطّريق

لتمرّ كلّ الكائناتْ

(26)

شاعرٌ بملمحِ فيلسوفْ

وعاشقٌ بغبطةِ امرأةٍ شاعرةْ

وصوفيٌّ بحدس «شوبنهور»

امرأةٌ بنكهة مائكَ الغيميّ

تُولدُ كلّما حكّ الرِّياحُ الفوانيسْ

(27)

لامرأة لها طعمٌ كما السُّكَّـرْ

لها جسدٌ كماءِ الصُّبحْ

لها لونٌ كعطرِ الوردْ

معجونٌ به المرمرْ

لامرأةٍ كأغنيةِ المساءِ ترتّب عبقة العنبرْ

(28)

لامرأةٍ واحدةٍ سأغنّي

وأزرعُ وردتين على صدرها

تقبّلني قصيدتُها

تقبّلها قصائديَ القصيرةُ والطويلةْ

أقبّل وجنتيها

وأغنّي:

ولَوْ أنْ يُبَلَّ الرّيقُ يوماً بريقها

لأحييتُ طيراً في حماها يغرّدُ

(29)

كثيرةٌ هيَ العصافيرُ على شجركْ

وحدي كنتُ أعمى

يقودُني ولهي لأوّل سطركْ

(30)

كلّ ليلة تنفتح الغيمةُ

أشرب نخب جمالك الجسديّ

أتذوّق طعم السّكر المعصور في شفتيكِ

طفلا ليس يعرف غير مائكْ

أبتهل كصوفيّ جريء بين أعضائكْ

خبزك ناضج كثمرة إلهيّة

خمرك مائدة للنّشوة تصحو وتكبرْ

تكتبني سفر قصيدة عشق سماويّة

أيّتها المخلوقة من ورق الجنّةْ

محلّاة بعطر ملائكة اللهْ

لا تنامي قبل أن يغسلك اللّيل بي

لأصبح جذرا يرتوي من تربة وردكْ

(31)

لا أصدِّقُ ذكريات اللّيل

تخدعني كأوراق الشَّجرْ

تناثرتها الرّيحُ

يمحو آخر سطرها هذا المطرْ

(32)

لا شيء غيرُك في كؤوسي

حنينٌ لاهبٌ وجُرْمٌ مغتفرْ

(33)

كلّي معي

«يحومون حولي»

والكون من حولي يدورُ

مرآتي تراكِ شاعرةً بقلب قصيدتي

كتابتي حرّيّتي

(34)

ظلّي معي

حتّى امتداد البحر في جهتي

حتّى اشتعال الهوى في عمق أوردتي

حتّى انتباه الغيم في سِنتي

ظلّي معي

حتّى يعوم اللّيل أمواجا على شفتي

يفترّ ورد الرُّبا في كلّ ناحيةٍ

نشوان أحمرها شَدْواً على لغتي

(35)

أعود إلى المعتكف

ثمة أصوات ناشزة عالقة على شفتي

وشيءٌ من سُرُرٍ قليل

الكتابة أهم أثر تركه الإنسان وهي ربما سر خلود الحضارة، والكتاب كان دومًا أكبر سفير للزمن. إن رؤية الوزارة قائمة على ضرورة تعميم الكتاب من أجل تشجيع القراءة وتمكين الأجيال الشابة ثقافيًا ليصبحوا أكثر قدرة على مواجهة التحديات التي تعترض مستقبلهم. للثقافة دور كبير في صوْن وحماية الموروث الوطني والهوية الوطنية والرّواية التاريخيّة، وهي الخط الأمامي في الدفاع عن حكاية وجودنا على هذه الأرض.

كما تؤمن وزارة الثقافة بحريّة الرأي والتعبير، وتؤمن أن دورها الثقافي يقوم على ترويج الثقافة وإيجاد المناخ المناسب لتنوع أشكال الإبداع الأدبي المُؤَسَّس على قاعدةِ إحياءِ الموروثِ وتطويره، وتشجيع الجديد وتوسيع نطاقه، وتحفيز التّوجه العلميّ والمعرفي، حيث تُجسّد منشورات وزارة الثقافة هذه الرؤية الوطنية ذات البعد المعرفي والتنويري، وتستهدف جميع المواطنين في إطار التّعددية الفكرية، من منطلق الحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية للشعب الفلسطيني.

الدكتور عاطف أبو سيف
وزير الثقافة